وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: ...../.....
رقم التسجيل: 191935070376

المسيحون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام 1840-1918م

مذكـــرة مقدمـة ضمـن متطلبات نيـــل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

إعداد الطالبة:

- نسرين ديلمي

لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. عباس فتحي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	رئيسا
د. محمد الشريف حسين	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. إسماعيل تاحي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ /2023-2024م

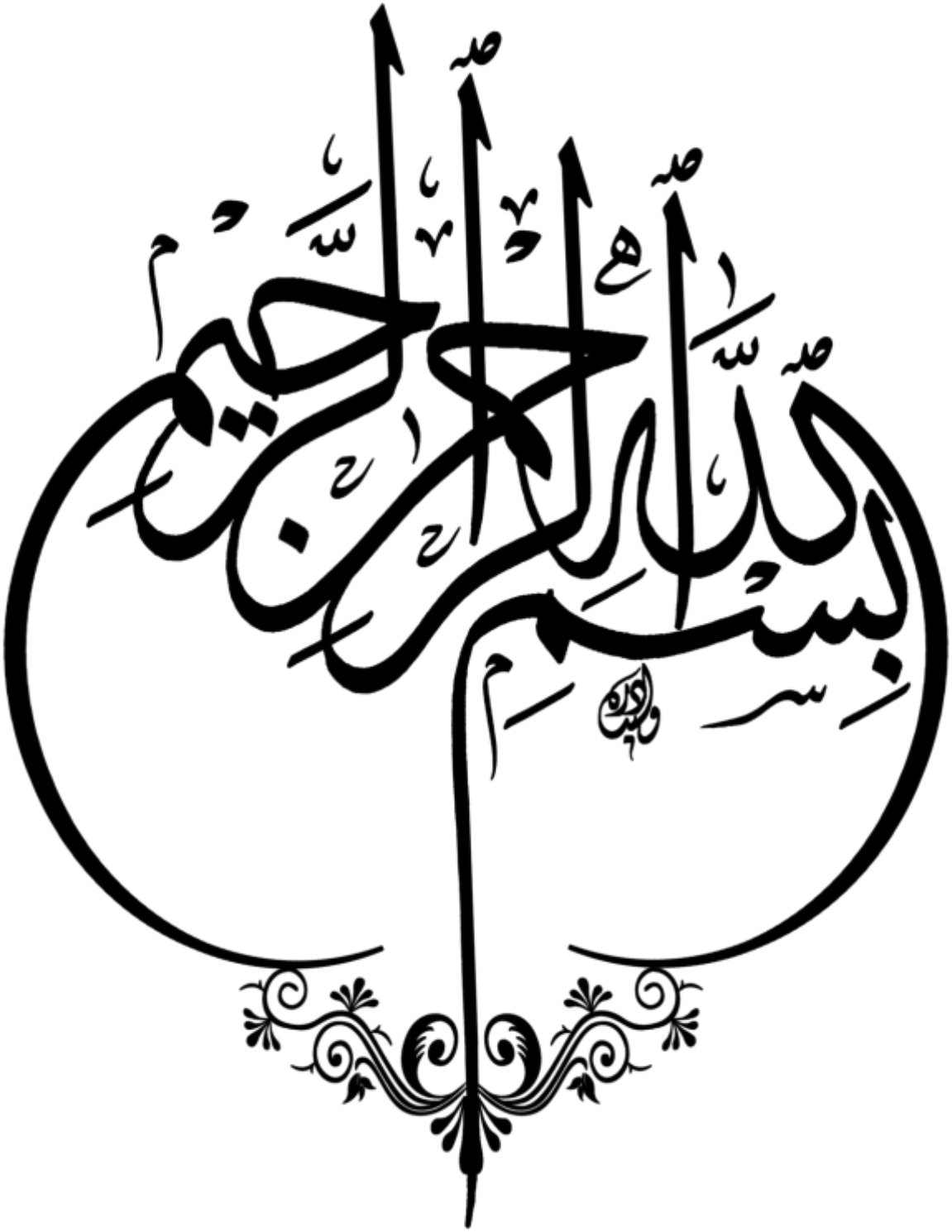
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة الأحقاف، الآية: 15]

فلا يستحق الشكر إلا الله العلي القدير الذي سهل لي سبيل العمل من فيض علمه الذي وسع كل شيء، فله الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات وله الفضل في إتمام هذا العمل.

أتقدم بأرقى وأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور "محمد الشريف حسين" لإشرافك على مذكرتي وعلى إرشادك وبجهوداتك القيمة كلمة شكر لك لن تفي روحك الطيبة ومعاملتك الحسنة جزاك الله كل خير.

فلولا الله ثم أنت لما حققت ما أريد ولما أنجزت مذكرتي، فقد كنت الداعم الأول والمحفز الأكبر لي، وأتمنى من الله عز وجل أن يعوضك على تعبك ويوفقك في كل مجالات حياتك إن شاء الله

و أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل الأساتذة الذين تتلمذت على أيديهم طوال مشواري الدراسي.

كما لا يفوتي أن أتقدم بالشكر إلى كل من مدلي يد العون من بعيد أو قريب ولو بكلمة طيبة.

نسرين

الإهداء

إليك أنت يا سر وجودي... اكتب معلنة خلودي... تحت أقدامك معلنة لك بقائي في خدمتك... يا وفنائي في عزتك... إليك يا من تملكين جواز سفري للجنة .. إلى أغلى الحبايب "أمي الحبيبة".

كثيرا ما قالو الى ستكبرين... وستنسين... لكن أبت معارك الأيام أن تنتهي... وما زلت أشعر بمأساة رحيلك... وكلما اصطبغت أكنوبة النسيان ... وجدت أن الكون يختفي... فيغيب أهل الأرض ولا يتبقى سوى اسمي وأنت ترددد.

إلى روح أبي الغالي رحمه الله.

إلى سندي وقوتي... وملاذي بعد الله... إلى من آثروني على أنفسهم إلى من علموني علم الحياة...

إلى من أظهر وإلي ما هو أجمل من الحياة إلى أخواتي

هجيرة حيزية حسان سارة

إلى قطعة من قلبي إلى المزهرة التي تفيض حبا ونقاء وعطرا... إلى الغالية التي لازالت تحبو على أدراج العمر الأولى... إلى ابنة أختي الكتكوت "تالين" .

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة... والنفوس البريئة... إلى رياحين حياتي إلى أبناء وبنات أخواتي

الى كتاكيت العائلة إلى البراعم الصغيرة

أمين، هديل، يونس، رحيم، جواد، ليليان، لارين نور، آنيا ميار.

إلى جميع الأهل والأقارب وأخص بالذكر عائلة ديلمي وبلعربي إلى الشموع التي ذابت في كبرياء... لتنير كل خطوة في دربنا... لتذلل كل عائق أمامنا.

فكانوا رسلا للعلم والأخلاق شكرا لكم جميعا.

إلى كل من أحببته وأحبني... وذكرته في قلبي ولم أذكره في كلماتي

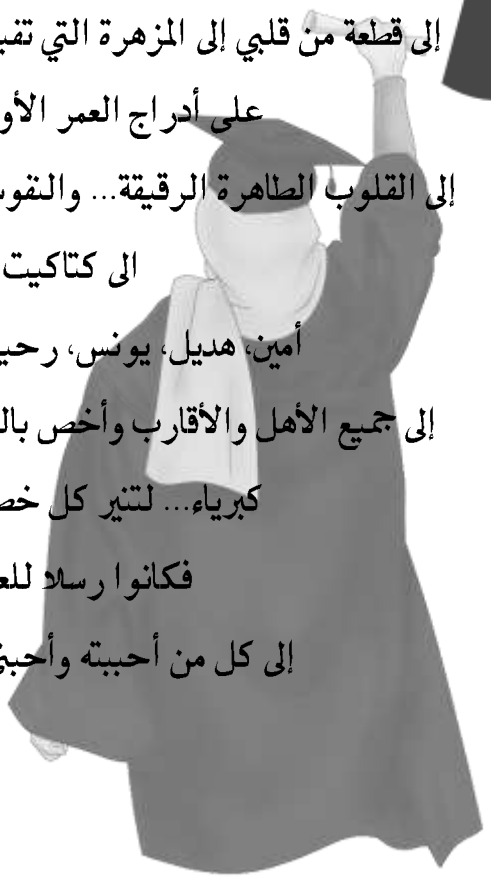

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
ج	جزء
ط	طبعة
تر	ترجمة
دت	دون تاريخ
ص	صفحة
ص ص	صفحة صفحة
مج	مجلد
ع	عدد
تح	تحقيق
تق	تقديم

شكر وعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

فهرس المحتويات

مقدمة..... **أ-د**

الفصل التمهيدي

أوضاع المسيحيين العرب في الحكم العثماني

1- أوضاع المسيحين العرب في ظل الحكم العثماني..... **07**

2- المسيحيين العرب في ظل مرحلة حكم محمد علي باشا لمصر وبلاد الشام **10**

الفصل الأول

النهضة الفكرية والتنظيمات السياسية

المبحث الأول: الإرساليات التبشيرية والنهضة الفكرية **18**

المطلب الأول: الإرساليات التبشيرية **18**

1- الإرساليات الكاثوليكية 18

2- تأثير الإرساليات التبشيرية..... 23

المطلب الثاني: النهضة الفكرية..... **25**

1- تأسيس الجمعيات الثقافية 25

2- الصحافة 29

3- المؤلفات 33

المبحث الثاني: التنظيمات السياسية القومية العربيّة **48**

المطلب الأول: الجمعيات العربيّة (1875م-1907م) **48**

1- جمعية بيروت السرية..... 48

2- جمعية الحزب الوطني..... 57

3- جمعية حفظ حقوق الملة العربيّة.....58
4- الجمعية الوطنية العربيّة.....60
5- جمعية الشورى العثمانية.....61
6- جمعية جامعة الوطن العربي.....61
7- جمعية النهضة العربيّة.....62
8- جمعية النشأة التهذيبية.....64
المطلب الثاني: الجمعيات العلنية والسرية في العهد الدستوري.....64
1- جمعية الإخاء العربي العثماني.....65
2- عصبة العثمانية.....68
3- الجمعية المركزية السورية 1908م.....69
4- المنتدى الأدبي.....70
5- الجمعية القحطانية.....74
6- جمعية النهضة اللبنانية.....75
7- الجمعية العربيّة الفتاة.....75
8- جمعية العلم الأخضر.....77
9- حزب اللامركزية الإدارية العثماني 1912م.....78
10- الجمعية الإصلاحية البيروتية.....81
11- جمعية العهد.....84
خلاصة.....86

الفصل الثاني

المؤتمر العربي والثورة العربية الكبرى

المبحث الأول: المؤتمر العربي.....88
المطلب الأول: المؤتمر العربي الأول (1913م).....88

1- التمسك بالرابطة العثمانية.....93
2- وحدة المسلمين والمسيحيين في إطار قومي أو وطني.....94
3- تأكيد أنّ العرب أمة متميزة لها حقوقها.....95
4- الإصلاح عن طريق اللامركزية.....96
5- رفض ومقاومة كلّ تدخل أجنبي 97
المطلب الثاني: موقف الدولة العثمانية من المؤتمر وقراراته.....101
المبحث الثاني: دور المسيحيين العرب في الثورة العربيّة الكبرى.....108
المطلب الأول: الدور السياسي 116
المطلب الثاني: الدور الثقافي والإعلامي.....126
خلاصة.....131
الخاتمة.....133
الملاحق.....136
قائمة المصادر والمراجع.....138
ملخص

مقدمة

يمثل القرن التاسع عشر فجر القومية العربية وتطور الوعي القومي العربي، في حين كان المشرق العربي تحت السيطرة العثمانية لمدة طويلة مع ظهور التنافس الدولي وانقسام أملاك الدولة العثمانية.

من هنا بدأت تظهر فكرة التطلع للمطالبة بالإصلاح وبالاستقلال وبداية اليقظة العربية الصحيحة بقيادة المسيحين العرب الذين كانوا رواد النهضة العربية وذلك من خلال الجمعيات الأدبية العلمية والمجلات والمذكرات... الخ

ولم يقف المسلمون العرب مكتوفي الأيدي بل أظهروا جلاء عروبة المسيحيين وأنهم ليسوا أغرابا عن المجتمع الإسلامي في بلادهم واشترك المسيحيون العرب في تاريخهم وكان إسهامهم بارزا وبارعا من خلال دعم الوعي القومي العربي.

إن العرب المسيحيين مكون عربي أصيل وحليف طبيعي للعرب المسلمين داخل العالم العربي وخارجه، متعاهدون على التناصر في ظل الصراع الذي يتجاذب على المنطقة منذ عقود.

والجدير بالذكر أن المسيحية العربية راسخة وأصيلة في بلاد الشام، فهي تعتبر قديمة وعريقة جدا، حيث شهد التاريخ على ما قدمه المسيحيون العرب من مساهمات كبيرة في تشكيل ثقافة المشرق العربي. إذ كان لهم دور فعالا في مختلف النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وقد سلطت الضوء في هذه الدراسة على دور المسيحيين العرب في بلاد الشام في نشأة الفكر القومي العربي.

- حدود البحث:

الإطار الزمني الذي تم تحديده لدراسة هذا البحث هو الفترة الممتدة ما بين (1840-1918) للحديث من موضوع المسيحين العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام بداية من انسحاب محمد علي باشا من الشام 1840م إلى غاية نهاية الثورة العربية الكبرى في 1918م.

- أهمية موضوع البحث:

تمت صياغة فكرة هذه الدراسة في إطار الرغبة في تقديم تحليل تاريخي للدور الذي لعبه المسيحيون العرب في سياق نشوء الفكر القومي العربي. وقد لوحظ أن هناك حاجة ملحة لدراسة هذا الدور بسبب نقص الدراسات النقدية التاريخية حول هذا الموضوع، التي تكشف عن طبيعة هذا الدور وتجلياته وآثاره في نشوء الدولة القومية العربية الحديثة.

- دوافع اختيار الموضوع:

تواجد أسباب موضوعية وأخرى ذاتية.

- الموضوعية: تم اختيار هذا الموضوع بناءا على الرغبة في الكشف عن الدور التاريخي الذي لعبه المسيحيون العرب في نشر وتعزيز الأفكار القومية وتطبيقها في الحياة العربية، وذلك بعدما تم الكشف عن الطابع المتطرف للقومية التركية والتي كشفت عن نزعتها الحقيقية.

- الذاتية: الرغبة في تحقيق ميولي والغوص في العلاقة التي تربط المسيحين العرب والمسلمين في بلاد الشام ومصر خاصة في ظل الحكم العثماني.

- منهجية البحث:

استندت في دراسة هذا البحث على المنهج التاريخي الذي يوضح دور المسيحيين العرب في تطور فكرة القومية العربية في منطقة الشام ومصر، ثم استعملت المنهج التحليلي لاستكشاف هذا التطور وتحليل تجلياته وآلياته، وصولا إلى إستنتاجاته الأخيرة.

- إشكالية البحث:

تطرقت في هذه الدراسة إلى طرح عدة إشكاليات وهي:

- ما هي الظروف التي عاشها المسيحيون العرب في ظل حكم الدولة العثمانية ومحمد علي بمصر؟

- ماهي الآمال والطموحات التي سعوا إلى تحقيقها من خلال فكرة القومية العربية؟

– ما هو الدور الذي لعبه المسيحيون العرب في التنظيمات السياسة المختلفة؟ وما هو موقف المسيحيين العرب من الثورة العربية الكبرى؟

– الدراسات السابقة:

هناك كم هائل من الدراسات في بلاد المشرق العربي بينما نراها قليلة في بلاد المغرب العربي وخاصة الجزائر لهذا تعتبر هذه الدراسة جديدة نوعا ما في المغرب العربي لعدم تناول هذا الموضوع من قبل.

– خطة البحث:

من أجل دراسة هذا الموضوع بالطريقة منهجية، اتبعت خرامة تتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، الفصل الأول جاء على شكل تمهيد الموضوع وباقي الفصلين تحتوي على مجموعة من المباحث التفصيلية، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع والفهرس.

– خصصت في الفصل التمهيدي الأول دراسة تهدف إلى استكشاف واقع المسيحيين العرب في فترة حكم الدولة العثمانية وأيضا في فترة حكم محمد علي باشا، حيث شهدت أوضاع المسيحين العرب تغيرات جذرية نحو التحسين.

– أما الفصل الثاني خصصته لدراسة زيادة تنامي النشاط التبشيري في منطقة بلاد الشام وهو النشاط الذي كان يتم رعايته من قبل البعثات الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية وتأثير هذا النشاط على المسيحيين العرب كما تم التوقف عند تجليات النهضة الفكرية عند العرب في اطار فترة الدراسة المحددة، وما شهدته تلك المرحلة من تقدم ملحوظ يتجلى في ظهور الطباعة والمدارس والكليات والجمعيات الثقافية والصحافة وحركة التأليف والترجمة ودور الكتب والتمثيل، بالإضافة إلى ذلك، ساهم المستشرقون في هذا السياق الحضاري واثروا فيه، وأعطوا أملا في التحول نحو حياة جديدة مختلفة عن الحياة التي عاشها الوطن العربي تحديدا الشام: تحت حكم الدولة العثمانية.

وفي جزئه الأخير تم استعراض الجمعيات والتنظيمات السياسية العربية العلنية والسرية في الفترة (1875-1918م) التي تم تأسيسها أو المساهمة في تأسسها من قبل المسيحيين العرب. تأسيسها ليتم التوقف بعدها في الفترة (1908-1918م).

- أمن الفصل الثالث تم تسليط الضوء على المساهمة العربية في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس 1913 والذي تم التحضير له والمشاركة فيه ومناقشة الكلمات التي ألقاها المسيحيون العرب، وتم تخصيص الجزء الأخير للكشف عن دور المسيحيين العرب في الثورة العربية الكبرى، وتوضيح حجم هذا الدور وطبيعته من خلال الأبعاد السياسية والإعلامية والثقافية، لا سيما في الأدبيات الثقافية المتمثلة في القصائد التي تعكس عمق الإحساس والتأييد اللامحدود لهذه الثورة. وفي الأخير أتمنى أن أكون قد أعطيت ولو فكرة بسيطة عن الموضوع وأن أكون قد فتحت أبواب البحث المتواصل في هذا الموضوع الهام.

- مصادر ومراجع البحث:

لقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع، في نقل الحقائق التاريخية الخاصة بهذا الموضوع أهمها:

كتاب يقظة العرب لمؤلفه جورج أنطونيوس، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباسي وهو مصدر يتضمن وصف دقيق لحركة العرب القومية.

- وكتاب المسيحية العربية والمشرقية دراسة تاريخية للمؤلف الارشمندريت أغابيوس من جورج أبو سعدي المخلصي وهو مصدر يتضمن التعريف الواضح للمسيحية العربية والمشرقية ودورهم في نشر الفكر العربي في بلاد الشام.

ومن المراجع التي اعتمدنا عليها كذلك:

- عبد العزيز الدوري التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي.
- علي محافظة الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914.

- **الصعوبات:**

لقد واجهتني في هذا البحث مجموعة من الصعوبات والعراقيل نذكر منها:

- قلة المصادر والمراجع التي تتكلم عن موضوعي مباشرة باعتباره جديد الدراسة في "التحضير لشهادة الماستر".
- المادة العلمية المبعثرة وصعوبة التعامل معها.
- صعوبة ترجمة المصادر الأجنبية.

والله ولي التوفيق

الفصل التمهيدي

أوضاع المسيحيين العرب في الحكم العثماني

1- أوضاع المسيحين العرب في ظل الحكم العثماني (1516-1916م):

عمت الفتوحات العثمانية في النصف الأول في النصف الأول من القرن السادس عشر للميلاد أغلبية دول العالم العربي، إذ صارت الدولة العثمانية بعد ذلك القوة العظمى في العالم الإسلامي، فأصبحت كلّ من الأراضي المقدسة المسيحية والإسلامية في فلسطين وشبه الجزيرة العربيّة والعراق ومصر أكثر أمان في ظل حمايتها، وبعد أن استقوى العثمانيون وشكلوا قوة عظمى واتسعت سيطرتها كانت الدول الأوروبية المسيحية آنذاك تشهد صراعات وانقسامات دينية وسياسية[1].

وفي كانون الثاني (يناير) عام 1841م حدث تناقض بين الدولة وعامة الناس من المسلمين من حيث أسلوب معاملة المسيحيين العرب، فالدولة أصدرت قرارات تنص على حماية ورعاية المسيحيين السوريين الّتي قدمها إليهم الحكم المصري، والعامة أرادوا إلغاء هذه المزايا الّتي يتمتع بها المسيحيون انتقامه إلى أنّه أصبح صعبا إلغاء هذه الحريات الّتي أعطيت للمسيحيين[2].

فتوالت جراء ذلك الفرمانات الصادرة عن الباب العالي إلى ولاة القدس وغزة وبيروت والشام تنص على ضرورة معاملة المسيحيين بالأسلوب الحسن كما منحهم الأحقية في التمتع بالامتيازات الخاصة بهم، وذلك بموجب براءات وأوامر مصحوبة بخط شريف، ورعاية الرهبان والأديرة والكنائس وإنصافهم وحمايتهم من كلّ اعتداء عليهم دون أدنى ضرر[3].

---

(1) الأرشمندريت أغابيوس جوج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية دراسة تاريخية من العام 30م إلى العام 2016م، ط2، لبنان، 2016، ص395.

(2) قسطنطين بازيلي، سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، تر: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، الاتحاد السوفياتي، 1989، ص285.

(3) تعريب: فيليب وفريد الخازن مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية في سوريا ولبنان من سنة 1840 إلى 1910، ج1، مطبعة الصبر، جوينة، لبنان، 1910، ص52.

كما استفاد المسيحيون العرب في بلاد الشام ومصر كثيرا بعد إصدار الدولة العثمانية سلسلة من الإصلاحات الخيرية، خاصة بعد إصدار السلطان عبد الحميد لخط كلخانة عام 1839، والّذي نص على ضرورة المساواة بين جميع رعايا الدولة العثمانية مهما كانت ديانتهم أو مذهبهم، حيث يقول: "تمتاز سائر تبعية دولتنا العلية من المسلمين وسائر الملل الأخرى بمساعدتنا هذه بدون استثناء، وقد أعطيت من طرفنا الملوكي الأمنية التامة في الروح والعرض والناموس والمال بمقتضى الحكم الشرعي لكل أهالي ممالكنا المحروسة"[1]، ولكن بالرغم من هذه الإصدارات وحرص الدولة العثمانية على حماية المسيحيين العرب، إلا أنّ ذلك لم يمنع وجود توتر دائم، أدى إلى حروب أهلية بين الدروز والمسيحيين المعروفة بالحركة الأولى 1841م والحركة الثانية 1845م، والّتي كان سببها الأول والأخير تدخل الدول الكبرى في الشؤون الداخلية لهم، مما أدى إلى زرع الفتن والتوازن الداخلية بين الأهالي[2].

وهنا أعاد السلطان إصدار مرسوم خط همايون 1856م للتشديد فيه على المساواة بين رعايا الدولة وحماية أرواحهم وأموالهم والإبقاء على كافة الامتيازات الّتي منحت من قبل أجدادنا للطوائف المسيحية وكافة الملل غير المسلمة للمحافظة على حقوقهم في التوظيف والدراسة والانتخاب كما تجري عليهم أحكام المعافاة من الخدمة العسكرية بتقديم البدل الشّخصي أو النقدي، ومع ذلك لم تسلم هذه القرارات من اعتراض المسلمين خاصة علماء الدين لمساواتهم مع أهل الذمة، وفي نفس الوقت رفضت أهل الذمة لأنفسهم بحيث كانت طموحهم أكثر من هذا وهو التخلص النهائي من الحكم العثماني الإسلامي[3].

---

(1) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط2، مطبعة محمد أفندي مصطفى بحوش قدم، القاهرة، مصر، 1896، ص ص255-256.

(2) يوسف الدبس، من الموجز في تاريخ سورية، المطبعة العمومية المارونية، بيروت، 1907، لبنان، ج2، ص ص294-298.

(3) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ص257-259.

كم أثرت الإصلاحات الخيرية في تقوية ترابط الطوائف المسيحية بفعل القوانين الصادرة عن الدولة من أجل تنظيم شؤون البطريركيات والأسقفيات وتأسيس المجالس المحلية، بالرغم من أنّ الدولة ضمنت لنفسها ولاء البطاركة إلا أنّها وضعت جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشّخصية لأبناء الطائفة في يد رؤسائهم الروحانيين، وكذلك أملاك الأديرة والكنائس وشؤون المدارس والمؤسسات الخيرية الخاصة بالطائفة[1]، وبعد هذا تم إصدار إصلاحات وتنظيمات جديدة منها دستور 1876م الّذي أعلنه السلطان عبد الحميد مؤكدا فيه على ما اجاء في خطي كلخانة وهمايون بضرورة المحافظة على حقوق الأهالي ونشر الأمن والمساواة بين جميع رعايا الدولة العثمانية[2].

وبعد هذه التنظيمات الجديدة شعرت الغالبية المسلمة زيادة مزايا المسيحيين على حساب امتيازاتهم هم أي أنّ المسيحيين في تقدم ملحوظ[3].

وعلى الرغم من كلّ هذه الإجراءات والامتيازات الّتي منحتها الدولة العثمانية للمسيحيين العرب والتشديد عليها، إلا أنّ الدول الكبرى اتخذت من الفتن والثورات ذريعة للتدخل[4]، لذلك تم إقرار نظام المتصرفين في لبنان وبذلك أصبحت لبنان سنجقا عثمانيا له استقلاله الداخلي، وبموجبه قضى إلى وضع متصرف مسيحي كاثوليكي تعينه الدولة العثمانية على رأس البلاد، وتشكيل مجلس إداري يمثل جميع الطوائف اللبنانية، كما فرض أمر المساواة بين الجميع[5].

---

(1) عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1914-1964م، تق: أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص30.

(2) نفسه، ص41.

(3) عزيز العظمة، العلمانية من منظور مختلف، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيرت، لبنان، 1992، 125؛
و Bruce Masters, Christion's and Jews, in the ottoman Arab world, the roots of sectarianism, Cambridge studies in Islamic civilization, Cambridge university press, United Kingdom, 2001, p18.

(4) تعريب فليب وفريد الخازن، مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان من سنة 1840 إلى سنة 1910، مطبعة الصبر، جوبية، لبنان، 1911، ج3، ص334.

(5) كمال الصليبي، تاريخ بلبنان الحديث، ط7، دار النهار للنشر، بيروت، 1991م، ص148.

أدى هذا الأمر إلى معارضة الموارنة(*) بزعامة يوسف كرم، في ظل التشجيع الفرنسي كتسوية حول شخصه فكرة القومية اللبنانية المسيحية[1].

ومن الناحية الفكرية كانت هذه الأحداث قد نبهت أذهان الناس إلى ما ينجم عن الجمود العقلي من أضرار، مدركين بذلك أضرار العداوة الطائفية الّتي ينميها الجهل، ممّا جدد السعي إلى إنشاء المدارس ودفع المفكرين بالسعي من أجل تحرير الوطن من الحكم التركي، وهم تلامذة بطرس البستاني(**) وإبراهيم اليازجي(***)، وهما أوّل جيل بعث الحياة في التراث الثقافي وبذر أوّل بذرة وطنية، والّتي تطورت إلى ظهور حركة عربية تتمثل أهدافها الأسمى في القومية اللاطائفية[2].

2- المسيحيين العرب في ظل مرحلة حكم محمد علي باشا لمصر وبلاد الشام (1835-1841م):

طرأت العديد من التغيرات على المجتمع المصري في القرن 19م سواء على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وكان سبب هذا التغيير هو قيام الدولة الحديثة

(*) **الموارنة:** طائفة من النصارى الكاثوليكيين الشرقيين، يعرف من تواريخهم أنّهم ينتسبون ال الناسك البار القديس مارون القوريسي النشأة...؛ للمزيد انظر: طارق أحمد شمس، من تاريخ لبنان (الموارنة، الجراجمة، المردة)، مجلة العربي، العدد 768، ص1.

(1) كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، المصدر السابق، ص152.

(**) **بطرس البستاني:** من لبنان الجنوبي عرف البستاني بامتلاك أسرته بستان عامر اشتهر في القومية، أول من أسس مدرسة وطنية عالية، وأول من ألف قاموسا عربيا عصريا مطولا وأول من أنشأ مجلة راقية وابتدأ المشروع دائرة المعارف باللغة العربيّة...؛ للمزيد أنظر: المعلم بطرس البستاني، تعليم النساء آداب العرب، منتخبات، بيروت، لبنان، 1929م، ص7.

(***) **إبراهيم اليازجي:** لغوي وناقد وأديب لبناني، أباه الشاعر ناصف اليازجي، تولى كتابة جريدة "النجاح" وتحرير مجلة "الطيب"، ومجلة "الضياء"، وأتمم شرح ديوان المتنبي الّذي كان قد بدأه والده وتركه اسمه لاحتراما له، وله العديد من الأعمال الأدبيّة، للمزيد أنظر: الشيخ إبراهيم اليازجي (1847-1906م)، عيسى ميخائيل سابا، دار المعارف، بيروت، لبنان، ص ص17-21.

(2) جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987، ص126.

في 1831م على يد محمد علي(*)، والّتي أسست على بناء جيش قوي وحديث، كما أعاد النظر في جميع الجوانب الإدارية والصناعية وغيرها، الّتي كانت تشكل سبب مهما في ضعف الدولة، فقام بإعادة تنظيم الإدارة والنهوض بالزراعة واستحداث صناعات لم تكن قائمة من قبل، وإدخال التعليم العصري، وقد استعان محمد علي في كلّ هذا بخبرات أجنبية، وفي نفس الوقت اعتمد على إطارات من أبناء البلاد الأصليين المسلمين والقبط المسيحي(1).

وأهم ما ميز عهد محمد علي باشا الانفتاح والتودد على الأجانب والتعامل مع خبراء لم تكن تعرفها الدولة العثمانية من قبل، وكان للرعايا نصيب من هذا التغيير حيث قام بإلغاء جميع بالقوانين التمييزية الّتي كانوا يخضعون لها، بحيث منح لهم حرية ممارسة الشعائر الدينية المسيحية جهارة، وتأسيس المدارس والكنائس(2)، والاستعانة بهم في العديد من المصالح لاسيما التي اختصت منها بإدارة الشؤون المالية والضرائب وحسابات الدخل والخرج، وعدد منهم شغلوا أحكاما لعدد من الأقاليم، ورفع بعضهم إلى رتبة بيه وباشا، وعندما قام محمد علي بتنفيذ نظام الالتزام، استفادت الأقباط من هذا التغيير حيث أصبحوا من ضمن أصحاب الأراضي الكبار وقاموا بدفع الضرائب على نفس النحو الّذي يفعله المسلمون(3).

(*) **محمد علي:** رأس الأسرة العلوية الّتي استمرت في حكم مصر (1805-1952م)، وهو مؤسس مصر الحديثة، من مواليد 1769م بمدينة قولة بمقدونيا (اليونان)، كان والده إبراهيم آغا من أصل ألباني، بعد وفاة والده ألحقه عمه بالشرطة للمحافظة على الأمن بين قولة والقرى المجاورة، للميد انظر: كريم ثابت، محمد علي، ط2، مطبعة المعارف، مصر، 1943، ص ص16-17.

(1) أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربيّة- دراسة استطلاعية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2011، ص107.

(2) الأرشمندريت أغابيوس جورج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرفية دراسة تاريخية من العام 30م إلى العام 216م، المصدر السابق، ص409.

(3) نفسه، ص409؛ أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربيّة- دراسة استطلاعية، المصدر السابق، ص ص107-108؛ و *Benjamin Braudy, Christion's and Jews in the Ottoman Empire, USA, 2014, p18.*

وفي عام 1937م وضع التغييرات الّتي طرأت على جميع الأصعدة في عهد محمد علي كإعادة التنظيم الإداري والتوسع في زراعة القطن، اتسعت قاعدة صغار الموظفين من المسلمين والقبط، واستعان بالحرفيين والصناع القبط فاستخدمهم في المصانع الّتي أنشأها.

وبصدور تشريعات حقوق الملكية الفردية للأرض بعد تولي سعيد الحكم عام 1822م فتح الطريق لهم بشكل أكبر ليكونوا ملاك الأرض، كما قامت في تلك الفتوة في مصر بورجوازية مالية وتجارية غلب على تكوينها الأجانب والقبط، واشتغلوا أعمال المقاولات، وإنشاء مصارف للتسليف، وشركات ومصانع ووكلاء للدول الأجنبية، وتجنس بعضهم بجنسيات هذه الدول ليستفيدوا من نظام الامتيازات الأجنبية، كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا القيصرية والنمسا وإيطاليا وألمانيا[1].

وفيما يتعلق بالحياة الاجتماعية، عمل على المساواة بين المسلمين والمسيحيين جميعا، وإزالة جميع الحواجز فلبسوا اللباس الملون، وركبوا الخيل، وحملوا الأسلحة، كما تم السماح ولأول مرة بدق أجراس الكنائس، وحمل الصليب في الأماكن العامة في إطار الحرية الدينية الممنوحة، إضافة إلى إرسال بعثات دراسية إلى الخارج، ومثلوا في المجالس الاستشارية بنسب متساوية مع المسلمين[2].

بينما في المجال السياسي فقد حكم محمد علي حكما مطلقا، وكان ذلك بالتعاون مع المجلس العالي، دون دخول أحد من القبط، لكنهم دخلوا في المؤسسات النيابية في عهد الخديوي إسماعيل (1863-1879م) [3].

---

(1) أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربية، المصدر السابق، ص108.

(2) الأرشمندريت أغابيوس جورج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية دراسة تاريخية، المصدر السابق، ص410.

(3) أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربية، المصدر السابق، ص109.

أمّا في بلاد بالشام فقد تعددت الطوائف المسيحية، حيث تغيرت أحوال المسيحيين العرب بسرعة، وذلك بمجرد وصول الحكم المصري إلى الشام 1831م، فقد شملت سياسة التسامح الّتي انتشرت في عهد حكم محمد علي مع الأقباط بالمسيحيين في بلاد الشام، وذلك عن طريق ابنه إبراهيم باشا، حيث تم الإعلان لعن المساواة بين المسلمين والمسيحيين ومختلف الأجناس والديانات، كما قد تم إلغاء الفوارق الموجودة سابقا، ومنحوا الحرية الدينية، وانتشر العدل والتسامح والحق في جو صاخب بالفتن والكره والتعصب، فأعطت لهم الراحة والطمأنينة[1].

كما قد أرسل إبراهيم باشا (02 سبتمبر 1848- 10 نوفمبر 1848م) أوامر وتعليمات إلى شيخ الحرم القدسي والمفتي والنائب وغيرهم من الحكام والولاة في ولاية صيدا ومنطقتي القدس ونابلس وغيرها من المدن، يوضح مدى حرصه على تغيير أوضاع المسيحيين العرب، فقد أمرهم بالتسامح في معاملة المسيحيين، ورفع عنهم جميع بالتكاليف والضرائب الّتي فرضت عليهم من قبل ظلما عند زيارتهم للأماكن المقدسة، وبهذا ألغيت رسوم الخفر الّتي كانوا يؤدونها عند زيارتهم لكنيسة القيامة، وعند نهر الشريعة، ومنعت جميع المعاملات الّتي تحتقر المسيحيين. [2]

وتعتبر هذه الخطوة الّتي قام بها إبراهيم باشا هدفا لكسب الرأي العام الأوروبي إلى جانبه، وفي مرسوم بآخر أصدره إلى متسلم حيفا يأمره بتسليم السراي الموجود في الكرمل إلى الرهبان التابعين لدير الكرمل للسكن فيه، كما أذن أيضا للرهبان والأرمن والإفرنج والروم، بتعمير قبة الصعود الّتي تهدمت، والعمل على إثارتها وفرشها وتزيينها[3]، وهذه قبة أثر قدم سيدنا عيسى عليه السلام.

---

(1) لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام 1831-1841م، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990م، ص247.

(2) سليمان أبو عز الدين، إبراهيم باشا في سوريا، المطبعة العالمية ليوسف صادر، بيروت، 1929م، ص76.

(3) الأرشمندريت أغابيوس جورج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية- دراسة تاريخية، المصدر السابق، ص410.

أطلق إبراهيم باشا للمسيحيين العرب، الحرية الشّخصية الكاملة، وهو ما ثمنه المسيحيون لدرجة أنّهم قاموا باستعماله حين وصوله إلى دمشق، وطافوا به وراء الطبول في شوارع المدينة[1]، وإلى درجة أنّه سمح لهم بإنشاء خمارة في الشام "دمشق"، حيث أصدر الديوان ضمان للمسيحيين بفتح أماكن مخصصة لبيع الخمر، ومن هنا اهتموا بعملية جمع العنب والزبيب، وإصدار ضريبة على كلّ من يرمي العنب ويتسبب في إفساده، وكلّ هذا استنكره بالإسلام والمسلمين عامة لأنّه للم يسبق وأن حدث مثل هذا الشيء عند العرب[2].

كما قد قام المسيحيون بخلق شعار الذمة، وطالبوا بالمساواة في الحقوق، ولبسوا الملابس الملونة، وركبوا الخيل، وتسمح للأوروبيين التجول في دمشق بأزيائهم، الأمر الّذي أثار استياء عامة المسلمين، وزاد من حدة الصراع بينهم وبين المسيحيين.

فتحتم على إبراهيم باشا تعيين مفتشين من أجل مراقبة أوضاعهم وزيارة الكنائس ووضع التقارير لذلك، ومحاكمة كلّ من أساء إليهم بالضرب أو الشتم، وهذا دليل على أنّ العرب المسيحيين في بلاد للشام تمتعوا بحرية دينية، سمحت لهم بإقامة شعائرهم علنا وتنظيم مسيرات دينية في الشوارع[3].

وفي الجانب الإداري، فقد تم وضع القاهرة مركز السلطة، وضم فلسطين إلى ولاية دمشق، وتم تعيين يوحنا البحري مديرا لحسابات الولايات كلها، ورئيسا للديوان العالي في دمشق، وقد تم تفتيش جميع الحسابات وسجلات المجالس ووضعت تحت المراقبة، وقام بتعيين أخيه جيرمانوس في موقع مشابه له في حلب، وأقام في كلّ من مدينة ديوانا

---

(1) الأرشمندريت أغابيوس جورج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية- دراسة تاريخية، المصدر السابق،، ص412.

(2) مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا علي سوريا، سلسلة دراسات ووثائق تاريخ دمشق والشام، دمشق في منتصف القرن التاسع عشر، تح تق: أحمد غسان سبانو، [د م]، [د س]، ص66.

(3) الأرشمندريت أغابيوس جورج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية- دراسة تاريخية، المصدر السابق، ص412.

للمشورة، ويتم انتخاب أعضاؤه من سكان المدينة وتجارها، ويمثلون جميع المذاهب ستة من المسلمين وستة من المسيحيين وسن لهم قانونا دقيقا للعمل به، وعمل على تشكيل المحاكم المدنية، وأحال القضايا الشّخصية والدينية إلى المحاكم الشرعية[1].

وعلى الرغم من أنّ السياسة المصرية حرصت على عدم التمييز الطائفي بالنسبة للمسيحيين، إلا أنّ بقية الطوائف لم تسلم من إساءة الحكم المصري في حقها، والّتي اعتادت على نوع من الاستقلال تجاه الحكومة المركزية، بسبب قيام حكامها بوضع أسوار وحواجز بين الأمة الواحدة خاصة ما يتعلق بجباية الضرائب وتجنيد الجيوش النظامية[2].

ولم تخلو المصادر التاريخية من الأمثلة والشواهد الّتي كانت تعبر عن الواقع، والتغيرات الّتي طرأت على بلاد الشام ومصر خلال حكم محمد علي، نكتفي بذكر حدث أنّ شابا تركيا ذهب من يافا إلى نابلس، حيث صنع صليبا من الخشب وصعد إلى مأذنة الجامع الكبير في نابلس، وبيده ذلك الصليب، فأخذ يصيح من فوق المأذنة: هل ذهب دين محمد وانقضى؟ هل ارتفع الصليب على الهلال؟ من كان منكم مسلما فليقاتل هذا النصراني إبراهيم باشا، إذ اتهم إبراهيم باشا بأنّه مسيحي يدعي الإسلام[3].

---

(1) داود بركات، البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام 1832، المطبعة الرحمانية، القاهرة، مصر، ج2، د ت، ص ص120-121.

(2) الأرشمندريت أغابيوس جورج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية-دراسة تاريخية، المصدر السابق، ص413.

(3) داود بركات، البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام 1832م، المصدر السابق، ص ص149-150.

الفصل الأول

النهضة الفكرية والتنظيمات السياسية

عرفت بلاد الشام حملة تبشيرية واسعة خلال القرن 19م، نتيجة توافد العناصر الأجنبية التبشيرية وتعدد الطوائف الدينية بسبب إصلاحات الدولة العثمانية في بلاد الشام ومصر، في حين بدأت تظهر ملامح واضحة للنهضة الفكرية في بلاد الشام، وذلك بتأثير الإرساليات الأجنبية وانتشار مظاهرها في جميع المجالات الثقافية والفكرية، وبدأت تظهر اليقظة العربيّة الحديثة من خلال إنشاء العديد من الجمعيات العربيّة العلنية والسرية والأحزاب السياسية العربيّة في الدولة العثمانية.

المبحث الأول: الإرساليات التبشيرية والنهضة الفكرية

المطلب الأول: الإرساليات التبشيرية

لقد أدى حكم محمد علي باشا وابنه إبراهيم لمصر وبلاد الشام، وحرصها الشديد على ترسيخ التسامح والأمن بين الشعوب إلى نتيجة لم تعهد من قبل.

فقد فتح هذا التسامح الباب أمام البعثات التبشيرية الغربية من فرنسية وأمريكية وروسية وبريطانية، لبدء نشاطاتها في المنطقة ورفع وتيرة التنافس فيما بينهما، والجدير بالذكر أن هذه البعثات التبشيرية في بلاد الشام قد بدأت بوادر ظهورها مع مطلع القرن السابع عشر إلا أنّ أهم ما ميزها أنّ مجال عملها كان محدودا، حيث اقتصر على عدد قليل من المدارس والمعاهد في أماكن متفرقة ونشر كتب العبادات[1].

حيث تنوعت وتعددت الإرساليات التبشيرية في بلاد الشام على حسب نوع الأطياف السياسية في الديانة المسيحية، إذ يمكن تحديد أهم الإرساليات التبشيرية الّتي تعاقبت على البلاد على النحو التالي:

1- الإرساليات الكاثوليكية:

- الشيوعيون واللعازاريون:

وتعتبر أولى وأقدم البعثات التبشيرية الّتي توافدت على بلاد الشام، حيث كانت في أوائل القرن السابع عشر (17م)، وارتكزت في مجال عملها على أراضي كلّ من لبنان وسوريا وفلسطين[2].

والجدير بالذكر أن أهم ما عملت عليه البعثات التبشيرية هو خلقها لنظام تعليمي ناجح في تأسيس الجامعات والكليات والمدارس بأنواعها، خدمة لاحتياجات الموارنة والطوائف الكاثوليكية خاصة الشرقية الأخرى، وهو الأمر الّذي لم يسبق وجوده وتوفره

---

(1) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص97.

(2) عبد الجليل شلبي، الإرساليات التبشيرية كتاب يبحث في نشأة التبشير وتطوره وأشهر الإرساليات التبشيرية ومناهجها، منشاة المعارف، الإسكندرية، د ت، ص192.

في مدراسهم سابقا، حيث أدخلت في نظامها تعليم اللغات القديمة والحديثة والأدب والطبيعيات، وقامت بشرح الأسفار الخمسة التاريخ الكنسي بداية باللغة العربيّة ثم تحولت إلى اللغة الفرنسية[1].

وفي عام 1872م وسع اليسوعيون مجال عملهم حيث امتد نشاطهم إلى مراكز أبعد مثل دمشق، وكما شمل حلب عام 1872م، الّتي سبق لهم العمل فيهما من قبل، وبدأوا في ميدان الطباعة فأسسوا أوّل مطبعة لهم عام 1848م، ولم يتقنوا الطباعة بمطابع ذات حروف منفصلة إلا أواخر عام 1853م، وشهدت مطابعهم بعد ذلك تطورات تدريجيا خلال السنوات التالية، وقد أصبح لديهم أجهزة طباعة كاملة وذلك بعد نقلهم لمركز تعليمهم العالي إلى بيروت، وهو الأمر الّذي أدى إلى تميزهم واحتلالهم الصدارة في هذا الميدان، بفضل ما أخرجته امن كتب التراث القديم وما طبعته من سائر كتب التعليم[2]، ومن البعثات التبشيرية الكاثوليك الآباء اللعازاريون الّذين افتتحوا لهم كلية للذكور في عين طورة وأنشأوا مدرسة في دمشق عام 1775م، وكذلك أسست بعصة راهبات المحبة والمنظمات الدينية الأخرى، ومدارس للبنات والذكور في بيروت وبعلبك ودمشق وفي مناطق متعددة من جبل لبنان[3].

وباعتبار الفرنسيسكان[*] مسؤولون عن رعاية البلاد المقدسة، قاموا بإنشاء أوّل مطبعة عربية في القدس عام 1846م، كما أسسوا مركزا لدراسة الكتاب المقدس عام

---

(1) يسرى محمد عبد الهادي الحنفي، الإرساليات الأجنبية إلى بلاد الشام خلال القرن الثالث عشر الهجري وحركة النصري الإسلامي لها 1601هـ-1786م/1300هـ-1883م، مج2، رسالة مقدمة لنسل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، السعودية، 1996م.

(2) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص108.

(3) المصدر نفسه، ص ص109-110.

(*) **الفرنسيسكان:** رهبنة في الكنيسة الكاثوليكية، تأسست على يد فرنسيس الأسيزي وتعتمد على قوانينه، للمزيد انظر: موسوعة تاريخ الأديان، الباب الثالث، النصرانية، ص02.

لـ1850م، وألحقوا به مكتبة وهي تحوي الآن ما يزيد على 70000 مجلد، ولهم مجلة الأرض المقدسة ودراساتهم تتركز حول تعليم المسيحية وطرق التبشير بها[1].

وتركز النشاط التبشيري الكاثوليكي كذلك في قضاء عجلون في فترة السبعينيات من القرن التاسع عشر، إذ تمكن الاب جاتي (D. Gatti) من إنشاء علاقات ودية مع السلطات العثمانية في القضاء ومن بعدها، أرسل مبعوث خاص إلى الحصن هو الأب ثيوبالد نافوني (D. theobold Navoni)، ولقد انضمت عائلات كثيرة إلى المذهب الكاثوليكي واستعمل بيت الكاهن مدرسة بلغ عدد طلابها 60 طالبا من الذكور والإناث، أمّا عجلون فعين أوّل مبعوث رسمي كاثوليكي بتاريخ بـ 05 حزيران 1897م، وهو الأب حنا سارينا ليتولى شؤون المسيحيين هناك[2].

ولكن جهود البعثات التبشيرية الكاثوليكية في ذلك الزمن المبكر ظلت بوجه عامر إذا استثنينا اليسوعيين[*] اللعازاريين[**] جهودا محلية ضيقة وذات أثر محدود وإذا كانت استحقت التقدير في زمنها وظروفها[3].

أمّا في مصر فقد قام الفرنسيسكان بالعديد من الإرساليات الكاثوليكية حيث نجح سنة 1684م بموافقة الباب العالي في إقامة إحداها في صعيد مصر، وأقام الجزويت[4] إرسالية أخرى في القاهرة، إلا أنّ جميع هذه المجهودات باءت بالفشل.

---

[1] عبد الجليل شلبي، الإرساليات التبشرية، المصدر السابق، ص178.

[2] عليان الجالودي، محمد عدنان البخيت، قضايا علجون في عصر التنظيمات العثمانية، اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، عمان، الأردن، 1992، ص ص56-60.

[*] **اليسوعية:** الرهبنة اليسوعية واحدة من الرهبنات في الكنيسة الكاثوليكية، تأسست على يد القديس إغناطيوس دي لويولا في القرن 16م، للمزي أنظر: شهيناز سمية بن الموفق، الجزويت اليسوعية وأبعادها العقدية والسياسية، جامعة عبد القادر للعلوم الإسلامية، ص12.

[**] **اللعازاريين:** رهبنة كاثوليكية أنشأها القديس فنسان دوبول وتقوم بهدف التعليم أساسا، أنشأت في باري، للمزيد أنظر: موسوعة تاريخ الأديان، الباب الثالث، النصرانية، ص02.

[3] أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص109.

[4] **الجزويت:** فرقة كاثوليكية ياسوعية، وهو تبشير يعتمد على هدم القيم الدينية ونشر الرذائل، للمزيد أنظر: شهيناز سمية بن الموفق، المرجع السابق، ص57.

حيث لم يفلح المرسلون في استمالة أعداد تذكر من القبط الأرثوذكس[1]، وذلك بسبب مقاومة الكنيسة المصرية جهود المبشرين الكاثوليك وحرصها على تحذير القبط بمن اتباع مكلة الإفرنج، وقد أصدر الكثير من العقوبات لكل من يخالف ويتعرض للإبعاد لعن خدمة المناجقة وأغوات الباكات كما يقع تحت التأديب[2].

لكنهم نجحوا في استمالة كثير من المقيمين بمصر من السوريين واليونانيين إلى مذهبهم في عام 1731م، وكان لهم عدد مراكز في صعيد، أسيوط، وصدف، والأقصر، وأخميم، وجرجا، وأسوان[3].

- الإرساليات البروتستانتية[*]:

يرجع تاريخ ظهور بوادر الإرساليات البروتستانتية في منطقة بلاد الشام تحديدا إلى عام 1236هـ-1820م، حيث وصل بارسونز Parsons وهو واحد من الأوائل المبشرين البروتستانت إلى القدس وبدأ بإقامة علاقات ودية مع أهالي الكاثوليك وأرثوذكس معا[4].

ونظرا لعدم وجود طائفة بروتستانتية في بلاد الشام كنات الطريقة المتاحة لجمع الأتباع لهذه الطائفة هي تحويل الأفراد من الطوائف الأخرى إلى مذهبهم، واستمرت اللجنة الرئيسية الإرسالية بإرسال البعثات الواحدة تلو الأخرى إلى القدس ومن ثم إلى بيروت، إلا أنّه وبسبب وجود نسبة كبيرة من المسيحيين والتجار الأجانب وكذا حماية

---

(1) أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربية، المصدر السابق، ص100.

(2) نفسه، ص102.

(3) رياض سوريـــال، المجتمع القبطي في مصر في القرن (19م)، رسالة ماجستير في تاريخ مصر الحديث، جامعة القاهرة، [د ت]، ص133.

(*) **البروتستانت**: كلمة دينية تعني الشهادة العلنية، أطلق على مجموعة من الأماكن الّذين أعلنوا استجابتهم على قرارات (نيف أوف سبير) عام 1529م، وهي قرارات كاثوليكية ضد اتللوثريين، وأطلقت الكلمة على كلّ من انتسب إلى الحركة الإصلاحية أتباع مارتن لوثر أو لأولريخ زومجلي أو جون كالطن؛ للمزيد أنظر: إنعام بنت محمد عقيل، طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها، ط1، مؤسسة عكاظ، 2013، ص54.

(4) يسرى محمد عبد الهادي الحنفي، الإرساليات الأجنبية إلى بلاد الشام خلال القرن 13م، المرجع السابق، ص46.

القناصل الغربيين لهم، كلّ ذلك عرقل نشاط الإرساليات البروتستانتية الأمر الّذي حتم عليهم نقل مركز عملهم من مالطا إلى بيروت لتسهيل نشاطهم[1].

وبعد تشتت اليسوعيين بسبب الاضطهاد والفقر المدقع قامت البعثات بتحويل مدرسة عبية التابعة لهم سابقا في منطقة عين طورة، وأغلقوا أكثر مؤسساتهم، وبدأت من هنا البعثات التبشيرية الأمريكية بعدما وصلت لبلاد الشام وأخذت تحول أفرادا من الطوائف الكاثوليكية إلى المذهب البروتستانتي، وجاء بعد الطلائع الّذين وصلوا سنة 1820م وافدون من بعدها والتشجيع الزائد على إرسال المزيد من البعثات إحداها برئاسة إيلي سميث الّذي كان مسؤولا عن مطبعة الإرسالية وتحضير الكتابات الخاصة بالأعمال الإرسالية سواء الدينية أو الأدبيّة منها، كما قامت زوجته سارة بتأسيس مدرستها الخاصة بالإناث الأكثر أهمية باعتبار تعليم البنات، كان مهما في الشرق عامة وسورية خاصة[2].

وفي عام 1860 وصل عدد المدارس إلى ثلاث وثلاثين مدرسة تضم نحو ألف تلميذ خمسهم تقريبا من البنات، ومن أكثر الإنجازات أهمية البعثات الأمريكية تأسيس الكلية الإنجيلية البروتستانتية السورية في بيروت عام 1866م وذلك على يد المبشر دانيال بليس[3].

- **الإرساليات الأرثوذكسية الروسية:**

أتيحت الفرصة الأولى لبداية النشاط الأرثوذكسي[*] في القدس وذلك بموجب الاتفاقيات الّتي وقعت بين روسيا والدولة العثمانية عام 1774م، هدفا لحماية رعاياها المسيحيين الأرثوذكس وكنائسهم في الدولة العثمانية.

---

(1) أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص98.

(2) نفسه، ص 99-100.

(3) نفسه، ص106.

(*) **الأرثوذكس:** تطلق على النصرانية القديمة الّتي تملك إيمان الكنيسة الجامعية مقابل إيمان المخالفين، وبعد حصول الانشقاق الكنسي، وانفصال الكنيستين الشرقية والغربية عن بعضهما نهائيا في 1054م، أصبح مصطلح الأرثوذكس يطلق على الكنيسة الشرقية (البلاد الشرقية كروسيا واليونان)، للمزيد أنظر: إنعام بنت محمد عقيل، طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقلائها، بالمرجع السابق، ص24.

وفي عام 1811م وبحجة حماية الأقلية الأرثوذكسية فيها كانت قد وصلت الإرسالية الروسية الأرثوذكسية إلى فلسطين أوّل مرة، وقامت بتأسيس أوّل قنصلية روسية في فلسطين عام 1819م[1].

وقامت بتأسيس الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية بقصد دعم النشاط الديني والثقافي الروسي في القدس، وتبنت برنامج نظام داخلي للجمعية يعمل على توفير وإقامة كلّ الشروط للسكان الأرثوذكس[2].

تم تأسيس الجمعية الروسية الإمبراطورية في سان بطرسبرغ عام 1882م، حيث جاء ذلك كدعم للنفوذ الروسي في البلاد المقدسة وكان من أهدافها الرئيسية لم شمل الطائفة الأرثوذكسية ووقايتها من خطر الإرساليات الأجنبية وقامت الجمعية بنشاط ثقافي واسع في البلاد المقدسة[3] وأرسلت 80 عددا من العلماء الروس للتنقيب من الآثار المسيحية والبيزنطية في القدس[4].

2- تأثير الإرساليات التبشيرية:

لقد تركت البعثات التبشرية في المسيحيين العرب خاصة الثقافة العربيّة عموما العديد من الآثار يمكن تلخيص أهمها على النحو التالي:

1- لقد كان من أهم أهداف البعثات التبشيرية من فرنسية وأمريكية وروسية وبريطانية العمل على تنشئة جيل جديد على أسس غربية، وقد كانت المدارس والجامعات الّتي ظهرت في سياق نشاطها التبشيري عوامل فعالة في حركة الإحياء العربي في بلاد الشام ومصر، فتح اليوسعيون بعد سنة 1831م مدارس في بيروت وحلب ودمشق

---

[1] حبيب محمود صالح، البعثات الأرثوذكسية الروسية في بلاد الشام ل(سورية وفلسطين) 1840-1914م، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ص188.

[2] يسرى محمد عبد بالهادي الحنفي، الإرساليات الأجنبية إلى بلاد بالشام في القرن 13م، المرجع السابق، ص123.

[3] حبيب محمود صالح، البعثات الأرثوذكسية الروسية في بلاد الشام ل(سورية وفلسطين) المرجع السابق، ص164.

[4] حنا أبو الحنا، طلائع بالنهضة في فلسطين خريجو المدارس الروسية 1862-1914م، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2005، ص ص21-23.

وعزير وزحلة، وأعاد الآباء اللعازاريون فتح كليتهم في عين طورة وكانت الإرسالية المشيخية الأمريكية قد فتحت أكثر من 33 مدرسة بعد سنة 1860م، غير أنّ أكبر مؤسستين تربويتين في الكلية السورية الإنجيلية (وهي الآن الجامعة الأمريكية في بيروت) تأسست سنة 1866م، وجامعة القديس يوسف اليسوعية الّتي تأسست عام 1875م[1].

2- ومن آثار الإرساليات التبشيرية كذلك تعلم المسيحيين العرب اللغات الأوروبية الحديثة، الأمر الّذي هيأهم للتعامل مع البنى الاجتماعية الجديدة وبتأثير منها، قامت أديرة جديدة تتبع قواعد الترهب الغربي ثم غدت فيما بعد مراكز للعلم والتربية ونشأت تحت جناحها معاهد ومدارس تعليمية علمن الأكليريكيين والمدنيين على حد سواء وبالتركيز على التعليم المهني من هندسة وطب وغيرها من العلوم الحديثة، أسهم في تخريج جيل أو طبقة من المدنيين المثقفين الّذين تشربوا الحضارة الغربية أكثر من المسلمين ووجدوا مجال عملهم في الدوائر المالية والجمارك وغيرها من المنشآت الكبرى[2].

3- تعرف المسيحيون العرب من خلال البعثات على العلوم كاللغة والأدب والرياضيات لأنّ التركيز الأول في المناهج الدراسية الّتي كانت تتبعها الإرساليات كانت على هذه العلوم ولم تكن تهدف إلى أي غايات سياسية ولا أهداف وطنية أخرى، أي بالتحديد على المواضيع التعليمية الثلاث، ما أدى إلى تعلم المسيحيين العرب هذه العلوم في المدارس الأجنبية، كما تعرفوا على التكنولوجيا الغربية الأمر الّذي يجعلهم من مروجي حركة النهضة الأدبيّة بمختلف موضوعاتها، وعلومها من الفلك والفلسفة العقلية والأخلاق والتاريخ وعلم طبقات الأرض وعلم النبات، والحيوان، والموسيقى،

---

(1) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، ط4، دار النهار للنشر، بيروت، 1986، ص51.

(2) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939م، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، [د.ت]، ص ص77-78.

والإنشاء، والخطابة، والصرف، والنحو، واللغة الإنجليزيـــة، والفرنســية واللاتينيـــة والتركية، والكتاب المقدس، مكنتهم من الحصول على تعليم ثانوي شامل لجميع العلوم الحديثة مع رضى الجميع على حسن المعاملة للتلاميذ في المدارس الأجنبية وطريقـــة التدريس[1].

4- من جانب آخر كان للإرساليات التبشيرية آثار سلبية إذ كان هدف هذه الإرساليات أولا وأخيرا والأساسي هو نشر الدين المسيحي بين المسيحيين العرب واليهود، الأمـــر الّذي أثار الشك والريبة في نفوس المسلمين واليهود وعدم الارتيـــاح، وآثـــار النـــزاع الطائفي بين المسيحيين أنفسهم بسبب اختلاف الولاءات الثقافية والسياســية للقيـــادات الدينية في كلّ طائفة، إذ عرفت كلّ طائفة نفسها بقوة أجنبية تحميها[2].

المطلب الثاني: النهضة الفكرية

تميزت حالة يقظة الوعي القومي عند المسيحيين العرب منذ القرن 19 بعدة ملامح محددة أهدافا واضحة في ثناياه وهي التجديد الشامل في الواقع العربي، وإحداث الإصلاح والتغيير الديموقراطي على جميع المستويات الثقافية والسياسية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية، حيث دعا أقطاب الفكر النهضوي إلى التحرر من التبعية والعبودية الاجتماعية والتعصب الديني ومحاربة الحوادث الّتي تقع في البلاد العربية، والكشف عن القوى الروحية الّتي تمتاز بها الأمة العربيّة عن غيرها.

1- تأسيس الجمعيات الثقافية:

لقد كان للجمعيات والأندية الأدبية والعلمية والّذي تزامن تأسيسها مع النهضة التعليمية في بلاد الشام، دورا معها في المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية، حيث ألقيت فيها المحاضرات المختلفة، كما تذوب فيها المثقفون على الحياة والنظم البرلمانية وشكلوا جمعيات سياسية سرية، في حين نشر بعضهم دعوات وأفكار خطيرة وجريئة عن

---

(1) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية، المرجع السابق، ص ص52-53.

(2) نفسه، ص54.

أنظمة الحكم متأثرين بالآراء والفلسفات السائدة الّتي عبر من خلالها المسيحيون العرب عن البوادر الأولى للوعي القومي العربي، ونلاحظ ذلك من خلال الأهداف الرئيسية الّتي قامت من أجلها هذه الجمعيات[1]، وفيما يلي تفصيل القول في ذكر أبرز الجمعيات الثقافية:

1/ الجمعية المشرقية: تم إنشاء هذه الجمعية في سنة 1850م، في دير الآباء اليسوعيين، ومن أبرز أعضائها كلّ من: إبراهيم النجار، والشاعر حنا أبو مصعب، ورزق الله خضرا، والمؤرخ طانيوس الشدياق، وحبيب اليازجي، وفرنسيس مسك، ورائد المسرح العربي مارون نقاش، وإبراهيم مشاقة، والدكتور سوكة، وكلّ هؤلاء من المسيحيين، وقد اشترك أغلبهم في عضوية الجمعية العلمية السورية في دورها الثاني بحكم أهدافها المشتركة مع أهداف الجمعية العلمية من نشر العلوم والمعرفة، وجرت مباحثاتها باللغة العربية، واستمرت إلى غاية 1852م[2].

2/ الجمعية العلمية السورية: تأسست هذه الجمعية في بيروت عام 1857م، حيث بلغ عدد أعضائها 150 عضوا، وتم فيها اشتراك زعماء العرب من مختلف المذاهب والعقائد.

وكان العالم الدرزي الأمير محمد أرسلان من بين أعضاء مجلس إدارتها الّذي بقي رئيسا في هذه الجمعية، يليه حسن بيهم وهو عميد أسرة مسلمة ذات نفوذ واسعة، وضمت كذلك مسيحيين من مختلف الطوائف أمثال: إبراهيم اليازجي وخليل الخوري وحبيب اليازجي وجربس التويني[3].

---

(1) عبد الكريم غرايبة، سورية في القرن التاسع عشر، 1840-1876م محاضرات معهد الدراسات العربيّة العلية، معهد الجيل الجديد للطباعة، جامعة الدول العربية، 1961-1962م، ص215.

(2) نفسه، ص221.

(3) نفسه، ص217.

ومع بداية عام 1868م تزايد عدد أعضاء الجمعية خاصة من السوريين المقيمين خارج البلاد في إسطنبول ومصر، وتحدد هدف الجمعية الأساسي وهو إثارة الوعي الوطني في النفوس للعمل على بعث التراث العربي والاعتزاز به[1].

واجهت هذه الجمعية عدة عراقيل منها مذابح 1860م، إلا أنّه لبعد فترة وجيزة منها تم إعادة تأليفها لكن هذه المرة على أسس أوسع بمن الأسس السابقة، وضمت شخصيات بارزة في القسطنطينية والقاهرة، وكان اهتمامهم الكبير بتقدم البلاد على أساس الوحدة الوطنية هو حافزهم الأول على العمل والروابط الّذي يؤلف بينهم هو اعتزازهم بالتراث العربي، وفي عام 1868م، نالت الجمعية اعتراف الحكومة بها، لكونها جمعية أدبية[2].

مثلت هذه الجمعية أوّل تعبير فعلي عن الوعي القومي العربي ولعبت دورا أساسيا في تطوير القوة الأساسية الّتي كانت خلف الحركة القومية العربية، كما تعتبر أوّل مظهر للوعي الوطني الاجتماعي لكونها شملت في أهدافها غاية تسعى من خلالها إلى تطوير البلاد ناهلة من التراث العربي المشترك الأصيل[3].

تعتبر القصيدة البائية الشهيرة من أعظم النصوص الأدبيّة الّتي حركت النفوس العربيّة لاستعادة مجدها العظيم حيث يقول:

تنبهــوا واستفيقوا أيهـــا العــــرب

فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب[4]

لقد عد أنطونيوس قصيدة اليازجي هذه أوّل صورة لحركة العرب القومية، إذ اتخذت صورة النشيد الوطني، وهي في جوهرها تحريض للعرب على الثورة، فهي تغنت بأمجاد

---

[1] أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص119.

[2] نفسه، ص ص119-120.

[3] عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون 1519-1916م، ط2، [د د]، دمشق، 1993، ص515.

[4] سليم سركيس، سر مملكة، ج1، [د د]، مصر، 1895م، ص73.

العرب وبمفاخر آدابهم وبالمستقبل الّذين يستطيعون أن يصنعوه لأنفسهم باستلهام ماضيهم وأزرت بشرور التفرقة الطائفية، ونددت بفساد الحكم الّذي وقعت البلاد فريسة له[1].

3/ الجمعية الأدبيّة (1850-1876م): أسسها إسكندر كاتسليس وجورج يني وعدد من الأدباء في طرابلس الشرق، وألقت فيها خطبا وأبحاثا أدبيّة ثقافية عديدة، وأغلقت بعد نشوب الحرب الروسية العثمانية عام 1876م[2].

4/ الجمهورية العلمية في المدرسة الكلية: أنشأت هذه الجمعية عام 1866م وهي جمعية طلابية تأسست في الكلية السورية (الجامعة الأمريكية) من أجل تمرين الطلاب على الخطابة والمناقشة والبحث بإشراف أحد الأساتذة، وكان من أعضائها كلّ من جورج بني وجرجي زيدان[3].

5/ جمعية شمس البر في بيروت: تأسست سنة 1869م كفرع لجمعية اتحاد الشبان المسيحيين في إنجلترا، وانظم إليها عدد من خريجي المدارس الأمريكية أغلبهم من الأطباء وأصحاب الصحف، وفي عام 1874م فتحت فرعا لها في دمشق تحت اسم "جمعية رباط المحبة" ضم 40 عضوا، بعضهم من المبشرين وبذلك أصبحت أول جمعية دمشقية، وكان هدفها الأساسي نشر المبادئ الدينية المسيحية ومكافحة الرذيلة والكفر والسكر... الخ، وعمل الخير[4].

6/ جمعية زهرة الآداب: تم إنشاء هذه الجمعية عام 1873م في بيروت، أنشأها عدد من خريجي المدارس بإذن من المتصرف أسعد باشا وجعلت التمرين على الخطابة والمناقشة والبحث وتأليف التمثيليات هدفا لهذه الجمعية، وكان من أعضائها سليمان باشا البستاني،

---

[1] أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص ص120-121.

[2] عبد الكريم غرابية، سورية في القرن التاسع عشر (1840-1876م)، المرجع السابق، ص221.

[3] نفسه، ص ص221-222.

[4] نفسه، ص222.

الوزير ومترجم الإلياذة، ونعمان الخوري، وصاحب المقتطف وإبراهيم اليازجي، وجورج بني، وأديب إسحاق(1).

7/ الجمعية التاريخية السورية: أسست عام 1875م في دمشق، تكونت من سبعين عضوا بغرض تشجيع البحث التاريخي مع عدم التعرض للأمور الدينية والسياسية(2).

8/ جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية (1295هـ/1878م): أوّل جمعية إسلامية افتتحت في غرة آخر يوليو تموز في بيروت لغرض نشر العلم بين المسلمين وفتح مدارس للبنين والبنات، وأرسلت في محرم 1297هـ/ ديسمبر 1879م، خمسة طلاب إلى مصر لدراسة الطب على نفقة الجمعية الخاصة(3).

2- الصحافة:

من أسباب تطور الوعي القومي وجود الصحافة الدورية العربيّة والّتي قامت بدورها على أكتاف العرب المسيحيين في بلاد الشام، وكان لها دورا مكملا لما بدأت به الجمعيات الثقافية من نشاطات لكن بشكل أوسع وأشمل إضافة إلى سعة انتشارها، الأمر الّذي حقق أكبر أثر في نشر الوعي القومي(4).

بداية وقبل الدخول في تحليل واقع الصحافة العربيّة في عصر النهضة وأثرها في الفكر القومي، يجدر أن نشير إلى أوّل نشرة دورية وهي "نفير سورية" الّتي صدرت ما بين 29 أيلول/ سبتمبر 1860م و22 نيسان/ أبريل 1861 ذات صفحة واحدة، يتراوح عدد الأسطر في كلّ نشرة منها حوالي ما بين 25 سطر و72 سطرا، وذلك على إثر وقوع حوادث الستين في لبنان، وكان المسؤول عنها هو بطرس البستاني، حيث جعلها على شكل رسائل وطنية موجهة إلى أهالي البلاد من محبي الوطن، تمد بالنصائح المخلصة الّتي كان يتوخى منها شد عرى الألفة والمحبة والاتحاد واللذين يتوقف عليها نجاح

(1) عبد الكريم غرابية، سورية في القرن التاسع عشر (1840-1876م)، المرجع السابق، ص222.

(2) نفسه، ص 222-223.

(3) نفسه، ص223.

(4) الأرشمندريت أغابيوس، جورج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية، المصدر السابق، ص434.

المواطنين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم وذلك لإرشادهم إلى معرفة صالحهم وخير بلادهم متأملا أن تلقى القبول لدى أهالي البلاد وأن يتصفحوا نشراته[1].

ظهر من هذه الدورية إحدى عشر نشرة موسومة بـ "نفير سورية" لكنها اعتبارا من النشرة الرابعة صدرت موسومة بـ "نفير سورية" أو "الوطنية الرابعة" حتى النشرة الحادي عشر، ووضع عليها إطارا مزخرفا من خطين حول صفحة الكتابة من خطين حول صفحة الكتابة مع غصن زيتون على كلّ من جانبي اسم النشرة[2].

تأسست هذه الدورية على أحاسيس وطنية عبر عنها البستاني من خلال إدانته لحوادث الصين، إذ نظر إليها بعين الكراهية والأنفة والغضب معتبرا إياها من أعمال البرابرة المتوحشين العاريين عن الإنسانية، وذلك لأنّ الخسارة على الجميع لكونها خارجة من كيس الوطن، ونجد فكرة الوطنية واضحة عند البستاني عندما يخاطب مواطنين قائلا: «يا أبناء الوطن إنكم تشربون ماءا واحدا تتنسمون هواءً واحدا ولغتكم الّتي تتكلمون بها وأرضكم الّتي تطأونها وعباداتكم فهي واحدة»[3].

ثم أشار إلى حب الوطن من ألذ ما زينت به اللغة العربيّة من كلمات، ويقصد بالوطن هنا هو سوريا المشهورة ببر الشام وعربستان.

هي وطننا على اختلاف سهولنا وسواحلنا وجبالها، ومكان سورية على اختلاف مذاهبهم وهيئاتهم وأبنائهم[4].

وأخيرا يقرر البستاني بكل ثقة من كلمات أنّ ما هو جوهري لتمدن أبناء سورية أمران الألفة المدينة الّتي يتوقف وجودها على قوة ونشاط وإدارة أولياء الأمور أكثر من

---

(1) بطرس البستاني، نفير سورية، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1990، ص ص8–ب48.

(2) نفسه، ص85.

(3) نفسه، ص10.

(4) نفسه، ص21.

توقفه على شهوات الأهالي وأغراضهم المتنوعة والثاني حب الوطن وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة[1].

- وكان من أبرز الموضوعات التي ركزت عليها الصحافة العربية في تلك الفترة هي:

أ- اللغة العربيّة وضرورة التمسك بها وإعادة إحيائها من جديد:

بحيث تصبح لغة عصرية تواكب العلم الحديث وذلك من بيان مميزاتها وخصائصها الّتي انفردت بها عن اللغات الأخرى، وتقديم الشروحات والأدلة عل أهمية اللغة في حياة الأمم والشعوب لأنّها تعد من عوامل الوحدة بين الأفراد وبدونها تنقطع العلاقات والاتصالات وتتفوض أركان الهيئة الاجتماعية وإصرار الكتاب المسيحيين على ضرورة تعليم العلوم المختلفة باللغة العربيّة ومحاربة المتفرنجين الّذين يعمدون إلى الخلط بين اللغة العربيّة واللغات الأجنبية الأخرى[2].

- التدليل على أهمية اللغة العربيّة في حياة الشعوب:

لقد أكد الكتاب العرب المسيحون على أهمية اللغة ودورها في حياة الأمم والشعوب، ومن أجمل ما كتب عن أهمية اللغة ودورها في وحدة الأمة ما خطه اليازجي عندما نبه إلى الواضع الّذي آلت إليه اللغة العربيّة في عصره وخاصة عجزها عن تلبية حاجات أهلها وازديادها ضيقا باتساع مذاهب الحضارة وكثرة المخترعات والاكتشافات، لهذا لابد من تدارك ما طرأ عليها قبل أن تلحق بما سبقها من لغات القرون الخوالي، فاللغة في رأيه مرآة أحوال الأمة وصورة تمدنها ورسم مجتمعها وتمثال أخلاقها وملكاتها وتسجيل أحوالها الثقافية والمادية اللغة العربيّة بإمكانها أن تجاري أحسن اللغات وأكثرها مادة لا

---

[1] البطرس البساني، نفير سورية، المرجع السابق، ص69.

[2] الأرشمندريت أغابيوس جورج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية، المصدر السابق، ص434.

تتميز به من الاشتقاق اللفظي لذلك فإنّ وجد الهدم فهو في الأمة وليس اللغة، فلو صادفت من أهلها البقاء على عهد أسلافهم من السعي في سبيل الحضارة وتوسيع نطاق العلم[1].

ويأمل اليازجي أن ينتبه أبناء العصر إلى مكانة اللغة العربيّة من الأمة وإنّها هي عنوانها بل اللغة هي الأمة بحد ذاتها، فكما تشخص تاريخها وعلمها وعاداتها وعبادتها، فإنّها تشخص الأمة بنفسها وبها يشار إليها ويدل عليها، كما أنّها هي مجمع ألفتها الوصلة الحسية بين أفرادها، واللغة هي الفاصل الفارق بين أمة وأمة، وعليها مدار الوحدة الوطنية وصيانة المصلحة الأمية، وما تتحد الأمتان منها في اللغة لا ضمان لبقاء وحدتها ولو اتحدت بينهما المصلحة الوطنية والجامعة السياسية ويقول: «أنظر إلى العرب على اختلاف الأنساب والأديان والعادات وتفاوت المصالح بالذاتية وتظافر دواعي الشقاق لم تثبت لهم جامعة ينضمون بها ويتألفون حولها سوى اللغة»[2].

- الدعوة إلى الألفة والتضامن:

توقف الكتاب المسيحيون عبر صحفهم المختلفة عند ضرورة الاتحاد الألفة بين أفراد المجتمع، وذلك بهدف بناء مجتمع متماسك يكون نموذجا لصيغة التقدم المنشود لدى الأمة العربيّة تحديدا على اختلاف طوائفهم ومللهم، فالألفة هي المحور الّذي يدور عليه خير الوطن واليد الجامعة لأفراد الأمة وأساس التمدن وبدونها لا يقوم للوطن قائمة.

- المرأة العربيّة ودورها:

أكد العرب المسيحيون على ضرورة تعليم المرأة، فإصلاح الأمة يبدأ من إصلاح المرأة فهي المدرسة الّتي يجب علينا إعادة تأهيلها ثقافيا ومعرفيا الأمر الّذي نحتاجه لتقدم الأمة فإنّ لها دورا جوهريا وعميقا في توجيه الأجيال نحو العمل النافع والمفيد، ولكن ذلك

---

(1) إبراهيم اليازجي، شارة زلزل، "اللغة والعصر"، مجلة البيان، ج4، مطبعة البيان، مصر، 1897، ص ص145–147.

(2) نفسه، ج6، ص251–253.

لا يمكن أن يأتي إلا عبر العمل على العناية بالنساء والسعي نحو تعليمهم معارف العصور وعلومه، ولا شك أنّ المرأة من أعظم وسائل بلوغ الأمة لأهدافها[1].

- الأخذ بالتربية القومية:

الّتي تقوم على إعداد الأمة للحياة القومية وتوحيد بالأمة ومساعدتها على إدلاء رسالتها الإنسانية، فالتكافل والتكامل بين القوى الاجتماعية سواء كانت إسلامية أو مسيحية ضرورية، فارتقاء المسيحيين منوط بالمسلمين والعكس صحيح، ولكونها تحقق السعادة والرقي للمجتمع وهذا لا يأتي إلا بالتربية الصالحة.

أمّا أعلام هذا المجال فهم سليم نقلا وشقيقه بشارة نقلا مؤسسا جريدة (الأهرام) عام 1875م، وسليم العنحوري مؤسس (مرآة الشرق) سنة 1879م، وأمين السعيل مؤسسة مجلة (الحقوق)، وجرس ميخائيل فارس مؤسس (الجريدة المصرية) سنة 1888م، وجرجي زيدان مؤسسة مجلة (الهلال) عام 1892، واسكندر شلهوب مؤسس مجلة (السلطة) عام 1897م، والأديب الفلسطيني سليم قبعين مؤسس مجلات (الأسبوع) عام 1900م، وعروس النيل سنة 1903م، و(الإخاء) عام 1924م، وكان مناوئا للعثمانيين ولا يغفل عن بالنا آل تويني في لبنان وقد أسس جبران تويني الجد جريدة (النهار) في عام 1933م. [2]

3- المؤلفات:

لقد أثر ظهور المدارس والمطابع بشكل كبير في وجود حركة علمية نشيطة في سورية (بلاد الشام ومصر)، والجدير بالذكر أنّ هذه الحركة كانت أقرب إلى النواحي الأدبيّة والتاريخية منه إلى النواحي العلمية، ويرجع ذلك إلى توفر مادتها باللغة العربية، ولكن بدايات المدارس والمطابع والصحف كانت مسحية وذات طابع تبشيري تسعى بدورها إلى نشر الثقافة الدينية بين المسيحيين العرب وتعرف المسلمين بما لدى المسيحيين

---

[1] الأرشمندريت أغابيوس جورج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية، المصدر السابق، ص 434-435.

[2] نفسه، ص 436.

من ثقافة وقيم، إذ كان الاتجاه الأول في النشر هو تنصير العربيّة وتعريب النصرانية، فقد ترجمت الصلوات والأدعية والمواعظ والإرشادات إلى اللغة العربيّة لتصبح العربيّة لغة الصلاة والتبشير والوعظ والإرشاد، واتجهت المساعي إلى إيجاد ملة نصرانية بلغة عربية سليمة ليكتسب التبشير صفة العروبة، وجرت محاولات عديدة لترجمة الكتب المقدسة إلى اللغة العربيّة، فاستدعي أحمد فارس الشدياق قبل إسلامه إلى لندن ليشترك في ترجمة أنجليكانية وتعاون مع إيلي سميث وبطرس البستاني على إخراج ترجمة بروتستانتية للكتاب المقدس، وأتم فانديك وناصيف اليازجي العمل، وصدرت الطبعة الأولى في مارس آذار 1865م[1].

وساهم في عملية الترجمة ونقدها الشيخ الأسير حتى أتمه وصدرت التوراة كاملة وهي المتداولة بين أيدي الناس المعروفة بالتوراة الأمريكية، نسبة إلى المبشرين الأمريكان[2]، وفي تلك الفترة تطور التأليف في اللغة والأدب والنّقد والبلاغة، ويلاحظ أن العناية باللغة والأدب كانت في جوانب منها صدى لظاهرة أعمق هي تنبيه بالوعي العربي والاتجاه إلى إبراز مقومات الأمة العربيّة وإثبات شخصيتها أمام التحديات[3].

وساهم الكثير من الأدباء واللغوين في إحياء اللغة العربيّة وآدابها ووضع بالمؤلفات القيمة وكان في طليعتهم بطرس البستاني الّذي كان من أوائل الكتاب المسيحيين ومكنته معرفته بعدد من اللغات العربيّة واللاتينية كالعربية واللاتينية والإنجليزية والعبرية والسريانية والإيطالية على وضع قاموسه "محيط المحيط" عام 1870م، ونشر "قطر المحيط" عام 1869م. [4]

---

[1] عبد الكريم غرابية، سورية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص194.

[2] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج4، دار الهلال، القاهرة، [د ت]، ص193.

[3] عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة: دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص138.

[4] عبد الكريم غرابية، المرجع السابق، ص203.

إذ احتوى على ما في قاموس الفيروز أبادي من مفردات اللغة العربيّة واشتمل على زيادات كثيرة واصناف إلى أصول الأركان فيه فروعا كثيرة والحق بها مصطلحات بالعلوم والفنون، وقد حدد الهدف من تأليفه هذا الكتاب هو أن يرى تقدم أبناء وطنه في الآداب والمعارف والتمدن تحت لغتهم الشريفة[1].

ولقد امتاز هذا القاموس عن غيره بما أضاف إليه البستاني من نفير الكثير من الألفاظ العامية السورية ووضع مكان يقابلها بالفصحى[2].

ومن ثم نشر "قطر المحيط" 1969م، باختصاره ليكون دليلا للطلبة يكشف لهم ما أشكل عليهم من مفردات اللغة العربية[3].

ولقد بدأ العمل بأول دائرة علمية ظهرت في اللغة العربيّة هي دائرة المعارف الّتي أنجز منها سبعة أجزاء قبل وفاته، ولخص البستاني سبب وضعه لهذه الدائرة بأنّ الأمة هي استنباط للوسائل الأدبيّة والمادية الموافقة لأحوالها واحتياجاتها والمعارف هي أساس إتقان الزراعة والصناعة والتجارة وينبوع الثروة والقوة للشعوب المهذبة لهذا يجب على العرب أن يجاوروا أهل العصر ولا يكتفوا بالاقتباس عن غيرهم[4].

وتضمنت دائرة المعارف الدينية والفلسفية والمدنية والسياسية والتاريخية والعلوم الطبيعية وعلم اللغة[5].

وكتب البستاني العديد من المؤلفات الّتي تناولت خصائص آداب العرب وعلومهم في العصور الإسلامية، مع الكثير من التحليل والتفسير والنقد[6].

---

(1) بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيرت، لبنان، 1978، ص01.

(2) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج4، المصدر السابق، ص261.

(3) عبد بالكريم غرابية، المرجع السابق، ص204.

(4) بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروا، لبنان، 1944، مج1، ص02.

(5) نفسه، ص05.

(6) بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصر العباسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، بيروت، لبنان، 1979، ص12.

وكان في مؤلفاته أحد الدعاة إلى تحرير اللّغة العربيّة من الجمود والدخول بها إلى معكرة الحضارة القائمة على تطويرها حتى يتسنى التعبير عنها وتكوين معجمها الحديث القادر على الاستجابة للحياة الحديثة وتفسير معانيها الدقيقة، ووصف أدوات حضارتها ومؤسساتها الكبيرة وفهم نتاجها الفكري والمادي[1].

ووضع أحمد فارس الشدياق مؤلفاته مثل "الجاسوس على القاموس" في الوقت الّذي شعر فيه أنّ اللّغة العربيّة بحاجة إلى تفصيل مفرداتها وحركاتها، وبيان أصوها من تفرعاتها، وفي وقت دخل فيه اللّسان الأجنبي على اللّغة العربيّة، وهذا أمر مشين لأهل العربيّة وبين أنّ السبب وراء وضعه هذا الكتاب هو حث أهل العرب على حب لغتهم الشريفة[2].

وألف كذلك "الساق على الساق في ما هو الفارياق" من أجل أن يبرز غرائب باللغة ونوادرها[3].

ولقد جمعت مقالاته كاملة في كتاب "كنز الرغائب في منتخبات الجوانب" وهو في أربعة أجزاء، الأول عبارة عن فصول مختارة من جريدة الجوانب في مقاصد ومعانٍ مختلة في اللّغة العربيّة، والثاني في الجمل السياسية والثالث في القصائد الّتي صورها الشدياق وفي ما ورد عليه من نظم أدباء هذا العصر وشعرهم، والرابع في الأحداث المهمة الّتي حدثت في الممالك الإسلامية من نصب وعزل وإنشاء وقوانين[4].

كما ألف الشدياق كتاب "منتهى العجب في خصائص لغة العرب" في عدة مجلدات، تناول خصائص حروف الهجاء اللّغة العربيّة لكنه ذهب فريسة للنار[5].

---

(1) سامي الكيالي، الأدب والقومية في سورية، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، مصر، 1969، ص21.

(2) أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، الاستانة، 1871، ص03.

(3) أحمد فارس الشدياق، الساق على الساق في ما هو الفارياق، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1855، ص9.

(4) أحمد فارس الشدياق، كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، دار الجوائب، الاستانة، 1871، ص1.

(5) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربية، ج4، المصدر السابق، ص236.

كما وضع "سر الليالي في القلب والإبدال" بين فيه ما اشتملت عليه اللّغة العربيّة من البلاغة والبيان وفيه يحارب من يحاول العدول عنها إلى لغات الأجانب ويرى أنّها لغة زينية بألفاظها جمع لغات الإسلام حتى صارت لها كالملح للطعام والنحو للكلام[1]، وألف البعض في اللّغة والأدب وتاريخه على طريقة حديثة مثل ناصيف اليازجي "فصل الطاب في أصول لغة الأعراب" وهو عبارة عن مختصر في قواعد التصريف والأعراب حتى يستعين به الطلبة على الدخول إلى مجلس الأكابر[2].

كما وضع "مجموع الأدب في فنون العرب" تحدث فيه عن المعاني وحقيقة علم البيان والبديع والشعر والعروض[3].

وكتابه "مجمع البحرين" هو كتاب في المقامات جمع فيه العديد من الأمثال والحكم والغرائب والقصص المتداولة بين الناس وذلك ليكون مرجعا موثقا للطلاب للاطلاع على أساليب البلاغة والبيان[4].

كما كتب جبر ضومط مقالات عديدة عالج فيها جوانب من تاريخ اللّغة العربيّة وفلسفة نشوئها وتطورها، حيث ألف "في فلسفة البلاغة" بهدف التذكير بالمبدأ العام الّذي تنتهي إليه كلّ قواعد البلاغة وتشعب عنه جميع تفرعاتها وضوابطها الكثيرة المنتشرة في كتب فنون البلاغة[5].

[1] أحمد فارس الشدياق، سير الليال في القلب والإبدال، [د د] [د م] [د ت]، ص43.

[2] ناصيف اليازجي، فصل الخطاب في أصول لغة الأعراب، [د د]، بيروت، لبنان، 1913، ص ص2-3.

[3] ناصيف اليازجي، مجموع الأدب في فنون العرب، ط10، المطبعة الأميركانية، بيروت، لبنان، 1937، ص4.

[4] ناصيف اليازجي، مجمع البحرين، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، 1885، ص9.

[5] جبر ضومط، فلسفة البلاغة، المطبعة العثمانية، بعبدا، لبنان، 1898، ص ص2-3.

- **نماذج من مؤلفات شبلي الشميل:**

1- فلسفة النشوء والارتقاء:

أمّا الكاتب الاجتماعي شبلي الشميل(*) فقد كان متأثرا بأفكار الثورة الفرنسية وتبلورت أفكاره الداعية الى الإصلاح في كتابه "فلسفة النشوء والارتقاء"، ويمكن أن نقول أن الشميل بأفكاره الإصلاحية قد ساهم في إثارة العقلية العربيّة ومحاولة دفعها للسير في طريق التقدم بكما طرحه من أفكار تتخذ أحيانا الطابع الثوري، وتصطدم بالثقافة السائدة ولاسيما دعوته الصريحة إلى فصل الدين عن الدولة والتبشير بعلمانية لا تختلف في جوهرها عن العلمانية السائدة في الغرب الّتي نشأت بفعل الصراع بين الكنيسة والفكر الحر، فنحن الشرقيون العرب بحسب الشميل بحاجة إلى هزة "قوية حتى الأعماق" ولاسيما أنّ الكون والخمول قد تقادما علينا السبات وهو ما عبر عنه الشميل[1].

وطالب الشميل الإنسان العربي بأن يكون دائما فردا مستقلا وقادرا على التحرر من المؤثرات الّتي نشأ عليها في البيت والمدرسة والبيئة من حوله حت لا نقيد تفكيره ويكون في حالة نقد دائم لكل ما يدور من حوله، ويرى أنّ السبب الجوهري في تعميق الإحساس بالتأخر قد نشأ بفعل المدارس الّتي تعمل على تربية الطبقة الراقية من الأمة الّتي عليها يقوم تدبير شؤون المجتمع إلى غاية مخصوصة وتسلب استقلاله الأمر الّذي يؤدي به إلى ضيق الفكر وقلة التسامح ولا يبصر بعلمه إلا من جهة واحدة ولا يسير إلا في سبيل معلوم، وفي هذا السياق يؤكد الشميل ضرورة الارتقاء بعلم الاجتماع الّذي قدم مساهمة ملحوظة في الغرب من منافع عمومية[2].

(*) **شبلي الشميل**، طبيب وأديب لبناني، ولد في 1850م، أوّل من ألف في فلسفة النشوء والارتقاء في المشرق العربي، له سلسلة مقالات في مجلة المقتطف، للمزيد انظر: محمود محمد علي، شبلي الشميل... رائد نظرية التطور في عصر النهضة العربية، جامعة أسيوط، [د ت]، ص ص4-5.

(1) شبلي الشميل، فلسفة النشوء والارتقاء، ج1، مطبعة المقتطف، مصر، 1910، ص09.

(2) نفسه، ص81.

وكان شبلي الشميل دائما مع التجديد بآثار السالفين والمبالغة فيها، بحيث وقف بكتاباته وأفكاره ضد الشرائع والحكومات الّتي مازالت تقف عقبة في طريق تقدم الأمم، فالحكام المستبدون يترفعون عن الشعب ويستأثرون بامتيازات يرهقون بها الشعب ويسيطرون على عواطفه ومشاعره ويجعلونه يقتنع بأنّه لا ينبغي أن يكون على هذا الحال[1].

ويرى الشميل من أسباب تقدم الأمم الإخوة والتسامح الداعي إلى التعاون الحقيقي الضروري للعمران والمبني على معرفة الحق والواجب لدى جميع الأفراد، وينتقد بذكاء ملحوظ حال الأمة الّتي تجعل مصيرها بيد ملوكها، فالأمة الهائمة في قفر الوهم لا تكون شيئا في الوجود بالنسبة إلى ملكها بل هو كلّ شيء وتاريخها ليس سوى تاريخ ملكها الّذي يستبد بالرعية ولا شريعة له سوى إرادته فتراه يستنزف ثرواتها ويضعف قوتها والأمة غافلة مستسلمة، بحيث تتقوض أركان استقلالها فتشخص إليها أبصار الطامعين وتمد إليها أيدي الفاتحين ويسومونها ذل الاستلساق ولا تقوى حجتها وتتألف كلمتها وتوفق لاستقلالها إلا بعد سقوط سلطان الأوهام وقيام تعاليم أصحاب الأفكار الحرة مقامها[2].

كما يشير إلى أنّ أعظم أسباب سقوط الأمم العظيمة، تفرق المذاهب والملل ولولا ذلك لاستطاعت الأمة أن تحصل على استقلالها لأنّ صوت الشعب إذا اجتمع وكان واحدا لا يغلب مهما كان خصمه قويا ويضرب على ذلك مثالا واقعيا مستمدا من حالة أوروبا الّتي جعلت الحكم قائما على أساس الديموقراطية والشعب هو الحاكم وليس الملك[3].

---

(1) شبلي الشميل، فلسفة النشوء والارتقاء، المرجع السابق، ص ص10-12.

(2) نفسه، ص ص60-61.

(3) نفسه، ص63.

2- الكتابات السياسية والإصاحية:

دعا الشميل إلى وجود رابطة تربط الشعب السوري بعضه ببعض وتجعله يرمي إلى هدف واحد، فالسوري ليس له جامعة قومية والسبب في ذلك هو التربية الاجتماعية الّتي نشأ عليها، ويؤكد أنّ من أهم الجامعات الّتي تعتز بها الدول الاجتماعية الّتي نشأ عليها ويؤكد أنّ من أهم الجامعات الّتي تعتبر بها الدول السياسية الّتي تضم عدة شعوب تربطها مصلحة تشمل الجمع في منافعها ومضارها فلا يسع هذه الشعوب المرتبطة بهذه الرابطة إلا أن تجعل نصب أعينها في جميع أعمالها مصلحتها العمومية، ثم يشتد ذلك فيها حتى يرسخ في طبيعة كلّ فرد من أفراد المجموع[1].

ويؤكد ثانية وجوب اقتباس محاسن أخلاق الأمم الّتي نعايشها، لقد ورثتنا من حالتنا السياسية والاجتماعية إرثا شنيعا يقصد به التعصب والطائفة سبب تحاسدنا وتباعدنا وكلّ ما يفكك عرى جامعتنا القومية علينا أن نغلب العقل على العاطفة ونعطي كلّ ذي حق حقه حتى تقوى روابط جامعاتنا القومية، ويعترف الشميل للسوري برفعه راية الحرية في البلاد العثمانية والأقطار العربيّة تبشره بمبادئها باللغة العربيّة وهو ما سهل هذا الانقلاب يقصد به انقلاب الوعي بالتفسير فهو أوّل من رفع من شأن الصحافة العربيّة في سورية ومصر.

ونشوء العلوم الصحيحة باللغة العربيّة وهناك تأكيدا آخر لتغليب الشعور القومي العربي لدى الكتاب المسيحي على الرابطة العثمانية[2].

3- حوادث وخواطر:

يؤكد الشميل في هذا الكتاب أن الأمة الّتي تتخذ من القوة القاهرة سلاحا في نقض المبادئ المخالفة لما ألفوها بعيدة عن أسباب التقدم ووسائل التمدن، حتى تقطع القيود والأغلال وتمزق كلّ ما يمكن أن يقف بينها وبين حرية البحث الّتي تطلق للعمل عنان

---

(1) شبلي الشميل، كتابات سياسية وإصلاحية، تح: أسعد رزق، ط1، دار بيروت، 1991، ص103.

(2) نفسه، ص ص105-109.

التفكير، فتزيده معرفة بالأسباب والحقائق إذ يشتغل بكل ما يعرض له فيتمسك بما تؤديه الشواهد هكذا يستخدم أفكاره لفهم الحوادث عوضا من استخدام الحوادث لتأييد أفكاره حرضا عليها[1].

وفي سياق استنهاض الشميل لإرادة الإنسان العربي يؤكد فكرة التقدم وأننا يجب أن نحرب الأوهام ونبددها بقوة الحقيقة لكيلا يقوى أمرها فتعدم أسباب التقدم والعمل إذ يستولي الخوف والرعب على حواسنا والأمة التي تتخذ هذه المبادئ شعرا لها ستجد نفسها متقهقرة وكلما خطا العالم خطوة نحو التقدم تأخرت عنه خطوات متى تصبح أخيرا لا علوم ولا شرائع ولا صناعة لها، مفتقرة إلى غيرها من الأمم المتمدنة افتقارا الصلة إلى الوصول ولا تحس صنع شيء إنّما تكون "كالعق على بدن الإنسانية تكدر راتها وتمتص دمها»[2].

إنّ النهضة المرتجاة لا يمكن أن تتأسس على إحسان أخلاقي بالمسؤولية، فعلى المواطن أن يتخلى بالأخلاق الحميدة مثل الصدق والجرأة وفي رأيه إنّ الاخلاق سبب في تقدم الأمم قبل العلم والإنسان الشرقي اكتسب هذه الأخلاق حين كان في عزة وأوج مدينته لكن بعد سقوطه، وبعد الجهل الّذي وصل إليه اضطر إلى الكذب هربا من ظلم القوي، فنحن تنقصنا الشجاعة الأدبيّة ونخادع حكامنا بإظهارنا للرضى عنهم.

ومن هذا القول نجد أنّ الوعي القومي تمثل عند الشميل في ثلاث نقاط: التشديد على التعليم، وحرية التفكير، وضرورة نحو العدل والمساواة بين الناس، وأخيرا الدعوة إلى محاربة الاستبداد والأخذ بالنظم الغربية[3].

---

(1) شبلي الشميل، كتابات سياسية وإصلاحية، المصدر السابق، ص01.

(2) شبلي الشميل، حوادث وخواطر، المصدر السابق، ص ص18-20.

(3) نفسه، ص ص31-33.

- يقظة الأمة العربيّة لنجيب عازوري:

ألف نجيب عازوري[*] كتاب "يقظة الأمة العربيّة" باللغة الفرنسية في أثناء فترة إقامته بباريس، ولقد تضمن هذا المؤلف أوّل دعوة صريحة امن مسيحي عربي إلى الانفصال عن الدولة العثمانية وتشكيل دولة عربية برئاسة حاكم عربي[1].

ويبدو أنّ عازوري في كتابه معينا بالتعريف باليقظة العربيّة واتجاهاه كما يراه وبتقويم السياسات الغربية وآثارها في المستقبل العربي، كما أنّه تنبه إلى خطر الصهيونية بقوة.

استند مشروع عازوري الّذي لم يكن ذا تأثير كبير بسبب كتاباته بالفرنسية إلى مجموعة من الأفكار الّتي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

عارض عازوري الوجود العثماني في البلاد العربيّة لأنّ وجود الأتراك فهو في نظره السبب الرئيسي لتخلف البلاد العربيّة والوصول بالعرب إلى ما هم عليه اليوم يقول: «إن أراد أحد أن يدرس تأثيرات حكومة عمياء بربرية غنية أنصحه بالتجوال في فلسطين سورية والعراق، وإذا أراد أن يتحقق من الأثر السيء لهذه الحكومة في شعب كبير ذكي نشيط أقول له اقرأ تاريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين وبعد ذلك العرب المعاصرين في ظل الحكم التركي»[2].

كما عدد العوامل الّتي تجمع في وحدة واحدة اللّغة والأصل والتاريخ والأرض الواحة وتساءل «لماذا كلّ هذه المقامات الدينية بطرك ومطران وخوارانة ومغيت ويكرهون بعضهم ويحثون الّذين يقلدون ذلك؟»[3] هذه هي حالة الشعب العربي في

---

[*] **نجيب عازوري:** عربي مسيحي كاثوليكي سوري ولد عام 1881م، طالب بالاستقلال العربي ضد الدولة العثمانية، للمزيد أنظر: ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939م، دار النهار، بيروت، لبنان، ص ص331-332.

[1] نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، تق- تع: أحمد بوملحم، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ص20.

[2] عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص229.

[3] نجيب عازوري، المصدر السابق، ص56.

فلسطين وسورية والعراق مشيرا بذلك إلى الموقع المميز للبلاد العربيّة الأسيوية وبالتالي هي مصدر غني لا ينضب كونه يصل بين ثلاثة بحار المحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر المتوسط وثلاث قارات[1].

لاحظ عازوري الاختلاف بين الطوائف المسيحية وخاصة في القدس ودعا إلى إحداث كنيسة عربية كاثوليكية تكون العربيّة لغتها في الصلاة وفي الطقوس يكون لها طريق خاص وتستوعب الطوائف الأخرى، وذلك لأنّها ستكون مدفوعة بحركة الأمة الشاملة حيث تعاطف المسلمون مع المسيحيين لأنّهم يرونهم يقتربون منهم من أجل السلام والخير العام للوكن العربي، وفي إطار دفاعه عن اللّغة العربيّة يقول: «ومهما حاول الأتراك فصل العربي عن لفته فإنّ محاولاته ستبوء بالفشل فالعربي فخور بلغته ويردد على مسموع الأتراك النبي عربي والقرآن عربي ولغة السماء العربيّة»[2].

تمنى عازوري أن تقوم امبراطورية عربية تمتد من الفرات ودجلة إلى السويس ومن المتوسط حتى بحر عمان وتتخذ الحكومة شكل السلطة الدستورية المرتكزة على حرية كافة المذاهب[3].

- الكتابات السياسية والاجتماعية لأديب إسحق:

كان للأدباء العرب تأثيرا قويا في قضية العرب والعروبة خاصة أديب إسحق الّذي ترك بدوره إشارات عميقة تأثير في هذه القضية ومنها دعوته ال إعادة إحياء التراث والمجد العربي، إذ تحت عنوان "ولي وطن آليت أنّ لا أبيعه" تحسر على مجد نينوى وبابل وتدمر وممقيس وتساءل قائلا: «ما الّذي أدى بها إلى هذا الدمار وما الّذي أزال عنها كلّ محاسنها بعد كلّ العمران والرقي الّذي وصلت إليه؟»[4].

---

(1) نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، المصدر السابق، ص ص60-63.

(2) نفسه، ص197.

(3) نفسه، ص220.

(4) أديب إسحق، الكتابات السياسية والاجتماعية، تق: ناجي علوش، دار الطليعة، بيروت، 1978، ص78.

من هنا نستنتج أن الهلم وقوة العدل كان السلاح القوي الّذي أوصل هذه الحواضر إلى قمة المجد والمدنية، والدليل على ذلك هو ما آلت إليه هذه الحواضر بعد تركها لهذا السلاح لمن شعف بعد قوة وفقر بعد ثورة، ممّا أتاح للغرب الفرصة إلى النيل من استقلالنا وثرواتنا وشخصيتنا منبها العرب إلى أنّ لا يأخذهم الغرور بالغرب فهو الّذي ساقنا إلى هذا الحال من الجهل والظلم والاستبداد لكن يمكننا لنا الخلاص بالعلم والحرية والعدل(1).

ونصحهم بالابتعاد عن التعصب الديني هو سبب أساسي في تأخرنا ليصل إلى هذه الصياغة الحاسمة القائلة: «ما تأخر الشرق إلا به لا تقدم الغرب إلا بزواله».

والجدير بالذكر أن العرب بإمكانها أن تكون أقوى البلدان في العالم، وذلك لأنّها تمتلك الكثير من مقومات الحضارة والقوة، إلا أنّه لابد بمن النظر إلى بعض الأمور المهمة والأساسية، كضرورة الاعتراف بالخطأ وإزالة كلّ ما ألبسنا إياه السلف من الخرافات والأوهام وأن نتحلى بالإرادة والغيرة على ما نملك وأن نقترب من الصمت بالاجتهاد والكثير من الأمور المختلفة الّتي من شأنها إصلاح أوضاع البلاد والتقدم به نحو الأمام(2).

وبخصوص الإصلاح عند أديب أسحق فإنّ الإصلاح لا يأتي إلا بالقوة والقوة لا تحصل إلا بالاتحاد، وأن الحكم الصالح هو الّذي يساعد ويعمل على تقديم الأمة باستخراج ثرواتها واستغلالها لصالحها والسعي إلى كلّ ما يقودها إلى ذلك الطريق بإزالة أفكار التعصب نكون جميعا أمة واحدة(3).

(1) أديب إسحق، الكتابات السياسية والاجتماعية، المصدر السابق، ص ص80-81.

(2) نفسه، ص ص82-83.

(3) أديب إسحق، الدرر، المطبعة الأدبية، بيروت، 1909م، ص93.

والأمة بحسب أديب إسحق هي الجماعة المتجنسة جنسا واحدا الخاضعة لقانون واحد والمراد بوحدة الجنس هو اتفاق الجماعة على الاعتزاء إلى جنس واحد يتوالدون فيه ويتسمون به كالجنس الأمريكي والعثماني لسكان البلاد العثمانية.

أمّا الوطن فهو المكان الّذي يقيم به الإنسان والبلاد الّتي يقطنها عامة الناس ويتوالدون فيها ولا يشترط فيه مساحة معلومة بدرجات معينة وإقليم واحد بتخوم معروفة[1].

أمّا اهتمامه بعلوم العربيّة وإدراكه دور اللّغة العربيّة في النهضة العامة للحياة، فقد ركز أسحق على علم اللّغة تحديدا ودعا إلى الاعتزاز باللغة العربيّة من حو وتسمية الأشياء بأسمائها العربيّة الصحيحة وكتابة المصطلحات الجديدة باللغة العربيّة الفصيحة وتقريب المسميات الجديدة مع شرح الغامض من ألفاظها بطريقة اجتهادية تواكب طبيعة وعينا بالتحولات[2].

وبخصوص الواجبات فإنّها عند أديب إسحق بقدر الحقوق، فعلى المواطن الحر أن يعرف واجباته ويلتزم بها ومن ثم يطالب بحقوقه ويدافع عنها ويجب على المواطن أن يبذل جهده في الأمر الّذي يجعله قويا في سبيل خدمة وطنه[3].

غرائب المكتوبجي لـ: سليم سركيس[*]:

تتوقف عند كاتب مسيحي آخر يبرز لديه التصور القومي الواضح من خلال دفاعه عن العرب، في حين قام بتوجيه برسالة للسلطان العثماني وذلك في كتابه الفريد وقتذاك "غرائب المكتوبجي"، إذ طالب من خلاله بالتقدم عن طريق منح الحرية، حرية القول

---

[1] أديب إسحق، الدرر، المصدر السابق، ص ص100-101.

[2] أديب إسحق، الكتابات السياسية والاجتماعية، المصدر السابق، ص421.

[3] نفسه، ص ص449-450.

[*] **سليم سريكس:** صحافي كبير وروائي معروف ومؤرخ، ولد في بيروت من عائلة صحفية مشهورة، أبوه شاهين سركيس ورث عن عائلته حبه للأدب والصحافة وأنشأ العديد من المجلات، للمزيد أنظر: سليم سركيس، غرائب المكتوبجي، ط1، دار المدى، القاهرة، 1896، ص ص10-11.

والفعل معا للمواطن الّذي تعتبر حقا أساسيا من حقوقه حيث يقول: «قضى عليّ أن اولد من والدين عثمانيين ومن رعايا الدولة العثمانية».

وفي علمي أستحق أن يشفق عليّ الجاهل وتعلمت الإنجليزية فأصبحت لا أقوى على احتمال الخمول وأن أقرأ جرائد أوروبا ومؤلفاتها وأغذي عقلي بمبادئ التقدم والحرية ونصرة الحق والرغبة في مقاومة الظلم فهو بهذا ضد سياسة الدولة العثمانية القائمة على أساس تقييد العقول الّتي أراد بها قتل العقل قبل الجسم[1].

ارتفعت نبرة الخطاب لدى سليم سركيس في مواجهة السلطة حيث خاطب السلطان العثماني قائلا: «لقد عمدت إلى قتل العقول الأمر الّذي سيفضي بنا إلى الدمار وهذا أمر لا نستطيع السكوت عنه، أنت فرد من الناس ورغم ذلك حضنت قصرك وجمعت من حولك بالسلاح خوفا على حياتك فكم بالحيوي يليق بنا نحن الأمة بأسرها أن نحرص أيضا على عقولنا وأن ندافع وهي أشرف ما وهبه الله لنا» «نقاومك الآن بالبرهان وإذا لم تستجب لنا سيضطرك الأمر ال الإصغاء لصوت جمهوري هو صوت الشعب» والعياذ بالله من الشعب إذا اتحد واتفق وأراد أن يدرك غاية شريفة معلومة فيها خيرة[2].

ويواصل تحريضه على الثورة بقوله: «يجب أن يكون هناك من يقف في وجه الظلم والاستبداد ويرفع صوته عاليا مطالبا بحقوقه، يجب ألا ننفك عن المطالبة بالحرية، يجب أن يترحك الرأي العام من هذا الجسد الميت»، وهو في دعوته هذه يحرص على أن يزرع الأمل في نفوس قومه ويذكرهم بأنّ الشرق يمكن له التقدم ويخاطبهم قائلا: «يجب أن يزول الخوف الّذي زرعه الحكام في نفوسهم حتى يستطيع واحد منكم أن يعمل على خدمة وطنه وأن يعمل من أجل المصلحة العامة، قتل المصلحة الذاتية يجب أن نبدأ ببيان علة التأخر وعلاجها تحريض الأمم على الاتحاد»[3].

---

[1] سليم سركيس، غرائب المكتوبجي، ط1، دار المدى، القاهرة، 1896، ص16-17.

[2] نفسه، ص14.

[3] نفسه، ص ص24-25.

لا بل إنّ سليم سركيس عزا سبب الإسلام بالشخص الّذي يئني ويبكي ويتوجع وقد بح صوته لإنذار بنيه وتحذير ذويه ولا أذن تصغي ولا عين ترى[1].

من هذه العبارة نلاحظ أنّ الكاتب خص العرب بأفكاره وهذه خاصة عندما حملهم مسؤولية تراجع الإسلام الّذي عده سببا من أسباب قومة الأمة العربيّة ومجدها سابقا.

[1] سليم سركيس، غرائب المكتوبجي، المصدر السابق، ص54.

المبحث الثاني: التنظيمات السياسية القومية العربيّة

المطلب الأول: الجمعيات العربيّة (1875م-1907م):

قادت ظاهرة انتشار المجالس الأدبيّة والجمعيات الثقافية في بلاد الشام إلى ظهور العديد من التنظيمات السياسية المحلية ذات الطابع القومي بأهداف وغايات مختلفة، مثل تشجيع الأدب والخطابة وتهذيب الناشئة وترويج الأخلاق الكريمة وإحياء الكتب القديمة وغيرها، وتظهر الدراسة المدققة لأعمال هذه الجمعيات ونشاطاتها أنّ جلها كان يخفي وراء أهدافه تلك أهدافها قومية عربية غير معلنة، وكان يعتمد على نشر الثقافة العربي والتمسك باللغة العربيّة والتربية الوطنية كوسائل للوصول إلى تلك الأهداف، بينما اتسمت أعمال الجمعيات القومية أو المحلية بالطابع السياسي الصريح، بل كان بعضها أجنحة عسكرية وتشكيلات سرية خاصة، وبذلك خرجت من نطاق الجمعية إلى نطاق الحزب، وإن كان التعبير الرسمي الشائع آنذاك لا يفرق بين المصطلحين[1].

ويجب أن نشير إلى أنّه تشكلت على يد المسيحيين العرب أوّل الجمعيات السرية العربيّة، تندد بالحكم التركي وتطالب باستقلال الولايات العربيّة عن الدولة العثمانية، ويجب أن نشير أيضا إلى أنّ هذه الحركات اقتصرت على منطقة آسيا العربيّة (بلاد الهلال الخصيب) ولم تشمل غيرها من البلاد العربية[2].

1- جمعية بيروت اسرية:

تم إنشاء جمعية بيروت السرية عام 1875م، على يد مجموعة مكن الطلاب في الكلية السورية البروتستانتية (الجامعة الأمريكية) [3]، أمّا نخبة المسيحيين منهم تعرفنا على: سليم عمون، وفارس نمر، ويعقوب صروف، وإبراهيم اليازجي، وشاهين مكاريوس، وإبراهيم الحوراني، وظاهر الزعني، وأمين المغبغب، وبشارة زلزل، وداود

---

(1) هادي حسن عليوي، الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي (1918-1956)، سلسلة أطروحات دكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2000م، ص ص35-36.

(2) علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914م، المرجع السابق، ص130.

(3) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص149.

نحول، وسليم موصلي، وتضمنت هذه الجمعية شخصيات من مختلف الأديان والطوائف بما في ذلك المسيحيين والمسلمين الدروز[1]، وجذبوا إليهم المحفل الماسوني وأشركوه في أنشطتهم، حيث كان مقرهم الرئيسي في بيروت وأنشأوا فروعا في دمشق وصيدا وطرابلس[2].

تُعد هذه الجمعية الأولى من نوعها في بلاد الشام، حيث كانت جمعية سياسية تقتصر أنشطتها على الاجتماعات السرية لتبادل الآراء ووضع الخطط الضرورية لعملهم، ونشر أفكارهم عبر وسائلهم الشّخصية واتصالاتهم، بالإضافة إلى لصق المنشورات في الشوارع للتنديد بالحكم التركي وتحريض العرب على الثورة ضد الأتراك والمطالبة بالاستقلال[3]، وقد تم تعليق هذه المنشورات على الجدران بعد منتصف الليل بالقرب من مقر القنصليات الأجنبية في بعض المدن السورية، وأقر فارس محمد باشا للكاتب نور الدين زين بأنّ جمعيتهم السرية كانت مسؤولة عن كتابة عدد من هذه المنشورات، وأن بعض هذه المنشورات كانت مكتوبة بخط يده، وتمكن بعض الباحثين من الوصول إلى ثلاثة من هذه المنشورات[4]، الّتي يمكن تلخيص أفكارها الأساسية على النحو التالي:

- **المنشور الأول:** يهدف المنشور الأول إلى استنفار الشباب السوري ويتحدث باسم الإصلاح وينتقد الانحطاط الّذي أدى إلى استعباد الشعب السوري الحر، والتفرقة الّتي جعلت السوريين عاجزين أمام الإفرنج، ويحثهم على التحرك باسم الكرامة العربيّة

(1) جورج أديب كرم، أحزاب اللبنانيين وجمعياتهم في الربع الأول من القرن العشرين (1908-1960م)، ط1، دار النهار، بيروت، 2003، ص24.

(2) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص149.

(3) نفسه، ص150.

(4) زين نور الدين زيين، نشوة القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة التركية، المصدر السابق، ص62.

والحمية السورية[1]، وفي أعلى المنشور كتب شعار يمثل سيفا مسلولا تم كتابة البيت الشعري الحالي تحته:

لنطلبنّ بحد السيف مآربنا   فلن يخيب لنا في جنبه أرب[2]

- **المنشور الثاني:** في تعبيره الصريح والعنيف، انتقد الكاتب الأتراك بشدة، حيث تهمتهم بالفشل في تنفيذ الإصلاحات الّتي وعدوا بها لمدة عشرين عاما، منذ عام 1860م، وهو العام الّذي شهدت فيه مذابح في بلاد الشام، واعتبرهم بلا أمل في قدرتهم على التحسين ولا يمكن توقع أي خير منهم، والجديد في هذا المنشور هو مطالبته الصريحة بمنح بلاد الشام نظام حكم ذاتي، وربما الاستقلال أيضا، وختم بعبارة أدبية قوية تؤكد عزم الكتاب على العمل من أجل وطنهم، وتعهدوا بتفاني أنفسهم وأموالهم مهما كلفهم الأمر[3].

وبعد أن يندد بفساد الترك وجعلهم يتساءل مخاطبا العرب: «ألا يوجد بين عقلائنا وأبناء وطننا وذوي حميتنا، أناس يقدرون أن يتولوا أمورنا ويغاروا على شرفنا، وإنهاض وطننا، ونحن مليونان فقط من أبناء وطن واحد»[4].

- **المنشور الثالث:** جاء هذا المنشور بعنوان "الويل" ويتحدث إلى أهل الوطن، منتقدا ظلم الأتراك مشيرا إلى أنّ هناك فئة منهم تسيطر على حياة أهل الوطن وتستعبدهم، كما أغلقت أبواب النجاح أمامهم، ويتهم المنشور الأتراك بأنّهم قد «درسوا شريعتهم وامتهنوا حرمة كتبهم حتى أنّهم سنوا نظامات تقضي بمالاشاة لغتكم الشريفة»، ويذكر أهل الوطن بأنّهم كانوا في السابق أصحاب الحل والعقد، ومن بينهم ظهر حاملي العلم والفضل، وبفضلهم امتدت الفتوحات «وعلى قواعد لفتكم بين أصول الخلافة الّتي اختلسها منكم الأتراك»، ويتم ملاحظة كيفية توجيه رجالهم للمشاركة في الحرب عندما تزداد الضغوط، ولكن يتم التعامل معهم بأي طريقة وكيفية يتصرفون في شؤونهم الدينية، ثم توضيح أنّه

---

(1) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، المصدر السابق، ص157.

(2) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص155.

(3) نفسه، ص154.

(4) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، المصدر السابق، ص157.

بعد مناقشة المسألة مع إخواننا في مختلف أنحاء البلاد، توصلنا إلى اتفاق على المطالب التالية فإن استجيب لها ولا فانهم سيتحكمون إلى السيف والمطالب هي:

1) استقلال نشترك به مع إخواننا اللبنانيين بحيث تضمن المصالح الوطنية.

2) أن تكون اللّغة العربيّة هي اللّغة الرسمية في البلاد، وأن يكون لأبنائنا الحرية التامة في نشر أفكارهم ومؤلفاتهم وجرنالاتهم بمقتضى واجبات الإنسانية ومقتضيات التقدم والعمران.

3) أن تنحصر عساكرنا في خدمة الوطن وتتخلص من عبودية الرؤساء الأتراك[1].

وينتهي المنشور بخمسة أبيات من القصيدة البائية المشهورة لإبراهيم اليازجي:

تَنَبَهوا وَاستَفيقوا أَيُّها العَرب ... فَقَد طَمى الخَطبُ حَتّى غاصَتِ الرُّكَبُ
فيمَ التَعلُّلُ بِالآمالِ تَخدَعَكُم ... وَأَنتُم بَينَ راحاتِ القَنا سُلُبُ
لا دَولَةٌ لَكُمُ يَشتَدُّ أَزرَكُمُ ... بِها وَلا ناصِرٌ لِلخَطبِ ينتَدِبُ
وَلَيسَ مِن حُرمةٍ أَو رَحمةٍ لَكُمُ ... تَحنو عَلَيكُم إِذا عضتكمُ النُّوَبُ
أَقدارُكُم في عُيونِ التُّركِ نازلَة ... وَحَقَكُم بينَ أَيدي التُّرك مُغتَصَبُ
فَلَيسَ يُدرى لَكُم شَأنٌ وَلا شَرَفٌ ... وَلا وجودٌ وَلا اسمٌ وَلا لَقَبُ
فَيالِقَومي وَما قَومي سِوى عَرَبٌ ... وَلَن يُضَيَّعَ فيهُم ذَلِكَ النَسَبُ[2]

ويمكن ملاحظة أنّ أسلوب المنشورين الأولين ضعيف مقارنة بالمنشور الثالث، ويشعر المنشور الأخير بوجود فروع للجمعية السرية الّتي أصدرتها في أنحاء البلاد، وهو ما لم نره في المنشورين الأولين الي وجهت إلى أبناء سورية، بينما ينص المنشور الثالث على إدخال اللبنانيين في إطار الوطن، وكانت رابطة الوطن السورية هي القاسم المشترك في المنشورات الثلاث الّتي سيطرت عليها روح عروبية ثورية.

---

[1] جورج أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص154-155.

[2] سليم سركيس، سر مملكة، ج1، المرجع السابق، ص73.

عندما يشير المنشور الأول ضمنيا إلى الحاجة للإصلاح واليقظة ورفض الخلاف، ويعبر المنشور الثاني عن اليأس من الإصلاح بواسطة الأتراك ويدعو إلى الإدارة الذاتية، فإنّ المنشور الثالث كان هو الأكثر شمولا في انتقاده ويحتوي على برنامج واضح[1].

عندما ننظر إلى هذه المنشورات الثلاث بنظرة شاملة وواضحة، نرى تطورها من التعميم إلى التخصيص، ومن الانتقاد البلاغي لفساد الحكم التركي إلى صياغة برنامج وطني محدد يظهر فيه نتائج جهود اليازجي في تعزيز اللّغة العربيّة وجهود البستاني في محاربة الجهل، وكان إبراهيم اليازجي، ابن ناصيف، عضو في هذه الجمعية، وزادت قيمتها قصائدها الشعرية بعد المنشورات، والّتي نشرها قبل 12 سنة في اجتماع سري عقدته الجمعية العلمية السورية[2].

ومن ذلك تعبر جميع المنشورات بوضوح عن استياء السوريين من الحكم العثماني من خلال نقطتين أساسيتين: الجانب الديني المتعلق بالمسلمين، والجانب الوطني المتعلق بالسوريين بشكل عام، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، وتشير إلى أنّ جذور الخلافة هي عربية وأن الأتراك استولوا عليها، وهذا يعبر عن رغبة إسلامية في تلك الفترة أيام السلطان عبد الحميد[3].

ثم تم التركيز في المنشور الثالث على مطالب الإدارة الذاتية ضمن إطار وحدة سورية الّتي تشمل لبنان، والاعتراف باللغة العربيّة كلغة رسمية في البلاد، وهذان المطلبان يتعلقان بوحدة الوطن السوري وتقييد الخدمة العسكرية في نطاق الوطن وحرية التعبير والنشر، ويبدو أنّ مصدر المنشور الثالث مختلف عن مصدر المنشورين الأولين[4].

---

(1) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربيّة، ص158.

(2) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص155.

(3) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، المصدر السابق، ص158.

(4) نفسه، ص158-159.

ما يثير الانتباه في هذه المنشورات هو أنّها تحتوي على مفاهيم سياسية جديدة لم تكن معروفة للجماعة من قبل، حيث تسلط الضوء على فكرة الوطن السوري بجانب ما قدمه العثمانيون(*) الجدد من فكرة الوطن العثماني، وتعرض لنا هذه المنشورات تعابير مأخوذة من مجلة نفير سورية الّتي أسسها بطرس البستاني عام 1860م، حيث تبدأ: يا أبناء سورية يا أهل الوطن، وتذكر بالكرامة العربيّة والحمية العربية[1].

وجد المخبرون الّذين يقومون بتوثيق الأحداث في دمشق ونقلها إلى إسطنبول بأنّهم ربطوا المنشورات بشخصية مدحت باشا كسبيل لتعزيز استقلال سوريا، أو كوسيلة للضغط من أجل الحصول على صلاحيات أوسع، وذلك وفقا لرأي بعض أنصاره[2].

ومع ذلك يبرئ جورج أنطونيوس مدحت باشا من أي علاقة له بهذه المسألة، ويبرئ أيضا القنصل البريطاني في بيروت، مع الاعتبار أنّه من غير المرجح أن يكون سموه المحرض الأول في هذه المنشورات، وقد استمرت الجمعية في عملها بعد استدعائها إلى العاصمة الاستانة لمدة ثلاث سنوات، حتى توقف نشاطها عندما شعر أعضاؤها بأنّه من المستحيل الاستمرار في العمل[3].

ونسب البعض المنشور الثالث إلى جمعية حفظ حقوق الملّة العربيّة كما سيأتي لاحقا[4].

(*) **العثمانيون الجدد:** تعبير أطلق على الإصلاحيين العثمانيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بمن فيهم رموز الحركة الفكرية إلى استخدمت تعبير الوطن العثماني، وكان من هؤلاء: نامق كمال؛ أنظر: وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، سلسلة أطروحات دكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، 1988، ص130.

[1] وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر نفسه، ص130.

[2] عبد العزيز الدوري، المصدر السابق، ص159.

[3] جورج أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص151؛ زين نور الدين زين، المصدر السابق، ص65.

[4] محمد عزة دروزة، الحركة الغربية الحديثة، المطبعة العصرية، صيدا، 1950م، ص95.

لكن ما هي أهمية هذه الظاهرة في تاريخ المشرق العربي والحركة القومية العربيّة الوليدة؟ توجد وجهتان نظر متعارضتان حول هذا الموضوع، حيث يرى جورج أنطونيوس أنّ هذه الظاهرة تعد أوّل جهد منظم في تاريخ حركة العرب القومية[1]، أمّا وجهة النظر الثانية، فتختلف عن هذا البيان وتجد فيه تهويلا، حيث يقول زين نور الدين زين على لسان فارس نمر، أحد مؤسسي الجمعية: «إنّ فكرة القومية لم تجد طريقها بعد في منطقة الشرق الأدنى، ولا تزال علاقات الناس مستندة إلى الدين والطائفة، ويعتبر تحقيق الوحدة القومية أمرا مستحيلا»[2]، ومع ذلك، كان هناك في لبنان مجموعة من طلاب الجامعة الأمريكية الّذين يطالبون في المقام الأول بتحرير لبنان من الحكم التركي، وقد أسس في حوالي عام 1876م جمعية ثورية سرية لتحقيق أهدافها، فقد أدركوا أنّه لا يوجد سبيل للتخلص من الحكم التركي إلا من خلال تشكيل جبهة موحدة مع المسلمين، تستند إلى مبدأ العروبة وتكون قادرة على مواجهة الأتراك[3]، لهذا السبب لجأوا إلى المنظمات الماسونية وجذبوا أعضاء مسلمين فيها إلى الجمعية واتفقوا على محاربة الاستبداد التركي بناء على مبدأ العربة والمساواة بين العرب والأتراك، ومع ذلك، اختلفوا في الهدف النهائي للجمعية وهو طرد الأتراك من ولاية سورية الّتي تضمنت آنذاك سنجق، لبنان المستقل ذاتيا، وبالتالي، فانهم فقدوا فرصة إيقاف هذه الجمعية عن العمل وحرق وثائقها واعتبارها منحلة، وفقا لما صرح به فارس نمر للمؤلف[4].

بعد دراسة وتحليل هاتين الوجهتين الأساسيتين في هذه الحركة، يعتبر جورج أنطونيوس أنّ القومية العربيّة تستند إلى مفهوم وجداني، والّذي يميز وعي القومية العربيّة بين الحروب، بينا يرى زين نور الدين أنّ هذه الحركة مجرد ظاهرة مسيحية لبنانية،

(1) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، المصدر السابق، ص149.

(2) زين نور الدين زين، المصدر السابق، ص60.

(3) نفسه، ص ص60–61.

(4) نفسه، ص61.

ويفترض أنّها تعبر عن حركة مارونية في لبنان، ولا يمكن اعتبارها حركة عربية وطنية في الشرق العربي ضد الحكم التركي[1].

وفقا لوجهة نظر وجيه كوثراني، يعتبر هذه الحركة نتيجة للوضع الثقافي لنخبة من المسيحيين المدنيين الأرثوذكس وبعض البروتستانت والمتشبعين بالثقافة الغربية الليبرالية العلمانية، حيث يمثلونها في وضعيتهم السياسية والاقتصادية، والّتي تغطي نشاطات المدن التجارية السورية، وكانت فكرة العروبة تعتبر حلا لهذا الملي الّذي حاولت التنظيمات أن تستوعبه على أساس المساواة التمثيلية في المجلس، وكانت فكرة الاستقلال السوري تمثل صورة لمشروع سياسي، يجد فيه النخب المماثلة في المدن السورية تطلعاتها وأحلامها[2].

لذلك يعتبر رأي زين نور الدين جزئيا ومتباعدا إلى حد كبير عن الواقع التاريخي، حيث يروج المؤلف للاتجاه الماروني اللبناني كونه الاتجاه الوحيد الّذي نشأ بين المثقفين المسيحيين، ومع ذلك، يتجاهل المؤلف أنّ هذا الاتجاه نشأ في جبل لبنان كجزء من الإدارة الفرنسية وعلى أساس التبعية الكاملة لفرنسا.

أمّا في بيروت وبقية المدن، نشأ اتجاه سوري معاد للأتراك بين المسيحيين الأرثوذكس، ولكنه يختلف في مضمونه السياسي عن الموقف الماروني، يعكس ذكر فارس نمر رأيه في نهاية الأربعينيات، بعد استكمال لبنان الكبير على أساس الميثاق الوطني، ولا يرتبط بتوجيه فئة المثقفين المسيحيين المدنيين، كان فارس نر من بين هؤلاء الّذين نشأوا وتربوا في المدن التجارية السورية واستمدوا مصادر ثقافية عربية، تشكلت المحافل الماسونية في بيروت وأصبحت إطارا لتبادل هذه الأفكار ونشرها، مثل الأخوة والمساواة بين البشر وأصبحت قاعدة للعمل السياسي المناهض للأتراك[3].

---

[1] وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر السابق، ص132؛ زين نور الدين زين، المصدر السابق، ص47.

[2] نفسه، ص132.

[3] نفسه، ص133.

بغض النظر عن الأسباب المحتملة لهذه الظاهرة، فإنّ دلالتها تتجلى في تأصيلها النظري الغربي وتأثيرها الثقافي النخبوي، بالإضافة إلى ارتباطها الاجتماعي المتعدد الأوجه وطابعها المدني التجاري[1].

وعند النظر إلى طبيعة التعاون بين المسلمين والمسيحيين في هذه الحركة، يمكن ملاحظة وجود حدود محددة بين المسيحيين الّذين يسعون للحصول على الاستقلال والمسلمين الذين يعارضون الاستبداد الحميدي والتنافس مع العنصر التركي في الإدارة الواحدة، وربما يساعدنا تعليق مارسيل كولومب على فهم هذه الظاهرة وتأثيرها على المحيط الثقافي والاجتماعي في سورية، حيث يقول: «إنّ المسلمين العرب كان بإمكانهم أن يسيروا على غير هدى وراء تعليمات مسيحي سورية الّذين يحرضونهم للثورة على الأتراك، إخوانهم في الدين وذلك أنّهم بقدر ما كانوا عربا كانوا أيضا مسلمين، بل ربما شعروا أنّهم مسلمون أكثر من كونهم عربا، فالفكرة القومية لم يكن لها أن تنتشر بينهم إلا بالقدر الّذي يسمح به الإسلام ويعطيه شرعية وحقا، وبتعبير آخر : «إنّ العرب المسلمين ما كان بإمكانهم أن يكونوا قوميين إلا بشرط أن يبقوا مسلمين»[2].

وبغض النظر عن الأمر، فإنّ نداءات هذه الجمعية كانت أوّل صرخة تنبيه أطلقتها الحركة العربيّة الناشئة، إذ كانت أوّل جمعية تشكلت وهدفها السياسي الأساسي، وجاءت دعوتها السياسية في وقت لم تكن فيه الأمة مستعدة لتوحيد كلمتها وتوحيد صفوفها، ولذلك فشلت الجمعية في تحقيق هدفها، ومع ذلك، ساعدت نداءاتها في توضيح الرغبات والآمال الّتي كانت غامضة واكتساب صورة محددة، كما ساعدت في توجيه التيار الفكري، وكان المنشور الثالث، على وجه التحديد، أوّل بيان يصلنا من تلك الفترة، يرسم لنا صورة حقيقة عن طبيعة الأفكار القومية العربيّة واتجاهاتها في تلك الأيام الأولى[3].

---

[1] وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر السابق، ص134.

[2] نفسه، ص ص134-135.

[3] جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص156.

تُعد هذه المنشورات الدليل الأول الذي أشار إلى وجود مؤشرات على التذمر المتزايد وأن المسلمين، مثل المسيحيين، بدأوا يعبرون عن معارضة صارخة ضد النظام الحاكم التركي، كما توجد توجهات منفصلة بين المسلمين والمسيحيين في سوريا، ولكن الاختلاف يكمن في أنّ المسلمين يشعرون بالقلق من تعرض البلاد للسيطرة الأجنبية، بينما لا توجد هذه المخاوف لدى نظرائهم المسيحيين[1].

2- جمعية الحزب الوطني:

وهي جمعية تأسست على يد فريق من العلماء المصريين في عام 1878م، وكان هؤلاء العلماء يشعرون بالاستياء من تداخل النفوذ الأوروبي في الحكومة المصرية، ومن بين هؤلاء العلماء كانوا شريف باشا، وسلطان باشا، وإسماعيل راغب، وعمر لطفي، وشاهين باشا، وقد طالبوا بمنع تدخل النفوذ الأوروبي والنضال من أجل تحقيق الحياة الدستورية ومشاركة ممثلي الشعب في الحكم، واعترافهم بحقهم في مراقبة الحكومة وإجراء الإصلاحات اللازمة في القوانين والمصالح، وقد قاموا بنشر المنشورات الّتي تدعو إلى أهدافها وتوزيعها سرا، وتوصلوا إلى اتفاق مع أديب إسحق لإصدار جريدة "مصر"، ثم جريدة "التجارة" لنشر دعوتهم، وقد تعرضت السلطات للجريدتين وأوقفتهما، فقاموا بإرسال أديب إسحق إلى باريس حيث أصدر جريدة "القاهرة" الّتي بدأت حملاتها ضد الخديوي وحكومته[2].

وكانت واحدة من أهم أهداف هذا الحزب تحقيق المساواة بين جميع العناصر وتعزيز استخدام اللّغة العربيّة في التعليم، والاهتمام بحقوق المواطنين في الدول العربية، وتوظيف الأشخاص الّذين يتقنون اللّغة العربيّة في الدولة ومؤسساتها في الدول العربية، ومع ذلك لم يتوصل النواب العرب الّذين دعوا إلى ذلك إلى صيغة للتصديق، ويعتقدون أنّ وجودهم

---

[1] زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص66.

[2] محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المصدر السابق، ص104.

في الحزب المعتدل يوفر قوة معارضة ضد الاتحاديين، ولكن هذا الأخير تفكك في النهاية[1].

3- جمعية حفظ حقوق الملة العربيّة:

تأسست في بيروت في عام 1881م، على يد مجموعة من المسيحيين والمسلمين المتحمسين، وكانت أوّل جمعية تحمل اسما قوميا لا محليا أو عاما بحتا، وقد سجل ظهور هذه الجمعية استخدام مصطلح الملة العربيّة كمرادف للأمة العربيّة وبديلا عن لفظ العرب بشكل عام، ويدل ذلك على نمو الشعور بوجود جماعة أو هيئة متميزة للأمة العربيّة تستحق حماية حقوقها.

وانتشرت فروع هذه الجمعية في بيروت وصيدا وطرابلس ودمشق، وبدأت دعوتها السياسية الهادفة إلى الثورة على الأتراك من خلال نشر المنشورات[2].

وبشأن أهداف هذه الجمعية، ذكرت صحيفة "المشير" أنّ بعض شباب العرب والأتراك اجتمعوا في باريس لتأسيس جمعية عربية تهدف إلى الدفاع عن حقوق العرب بغض النظر من اختلاف مذاهبهم، والحفاظ على حقوق الأمة العربيّة تحت راية الدولة العثمانية، ووضع قانون أساسي للخلافة وتحقيق المساواة بين العرب والأتراك، وتنفيذ الإصلاحات اللازمة في البلدان العربية، واستقلال كلّ ولاية عربية بماليتها وتعيين حاكم عربي أو معاون عربي[3].

باختصار، كانت أهدافها تدعو إلى تحقيق الوحدة الإسلامية المسيحية ضمن الإطار القومي العربي، وتوزيع المنشورات المخطوطة باليد لتشجيع العرب على التوحد والتصدي للاستبداد التركي[4].

---

(1) مفيد الزيدي، العصر العثماني، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، 2003، ص306.

(2) سامي اكيالي، الأدب والقومية في سوريا، المصدر السابق، ص105.

(3) أنيس الخوري المقدسي، الاتجاهات الأدبيّة في العالم العربي الحديث، ط1، منشورات كلية العلوم والآداب، جامعة بيروت الأمريكية، 1952، ص ص59-60.

(4) علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798م-1914م، المرجع السابق، ص131.

ومما جاء في أحد منشوراتها: «أين أنتم؟ وأين هم؟ من منكم اليوم أمير؟ ومن منكم باليوم وزير؟ ومن فيكم اليوم مدير؟، بل كلّ واحد منكم فقير، وكبيركم مثل صغيركم حقير، والمال والآمال في أيدي الترك؟ اتحدوا واستعدوا لنوال حريتكم من المعتدين»[1].

وجاء في منشور آخر: «يا أهل الوطن، قد علمتم بفجور الأتراك وظلمهم، وأن فئة منهم قد تحكمت في رقابكم، واستعبدتكم، وأنهم قد داسوا شريعتكم، وامتهنوا حرمة كتبكم، حتى إنهم سنو نظامات تقضي بملاشاة لفتكم الشريفة، وسدوا أبواب النجاح واتخذوكم أرقاء، كأن لا شيء من شعائر الإنسانية عندكم وقديما كنتم أصحاب العمل والعقد، ومنكم ظهر أولوا العلم والفضل، وبكم أهلت البلاد وامتدت الفتوحات، وعلى قواعد لغتكم بنيت أصول الخلافة الّتي اختلسها منكم الأتراك، انظروا إلى رجالكم كيف تقاد إلى الحرب عند الشدة، وكيف يعرضون إلى الفعل، وانظروا إلى أوقاتكم كيف وبأية طريقة تصرف»[2].

ووزعوا نداء بيانا: "الأمة العربيّة" ووقعوا عليه بعبارة من "جمعية حفظ حقوق الملّة العربيّة"، ونبث فقرات لهذا النداء نظرا لأهميته: «أيها المسلمون، قد مضى علينا قرون والأمة الإسلامية والمسيحية تكابد من الترك كلّ أنواع المكائد والمظالم، حتى أضحت جميع بلادنا بورا وخرابا، وحتى وصلنا اليوم إلى هذه الحالة الّتي يرثى لها» ثم يقولون: «فيا أيها العرب، تذكروا بأنّ الحرب الروسية الأخيرة وحرب العرب والجبل الأسود كانت بدمائهم وبأموالهم، ومع أنّ الترك قدموا أولادهم في القتال وأخروهم وقت المكافأة فانهم يدعون بأنّهم جبناء ونسبوهم إلى الخيانة»، وقالوا: «إنّ الفلاحين- أي العرب- كانوا يقطعون أصابعهم قصدا للفرار من الحرب، ولم نرا بين أبطالنا من نال رتبة لواء، ولا فريق، حتى ولا أميرالاي بل أعطيت كلّ الترب إلى الترك الّذين خانوا الوطن والذين باعوا ناموسهم وشرفهم للعدو»[3].

---

[1] محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المرجع السابق، ص95.

[2] نفسه، ص97.

[3] سامي الكيالي، الأدب والقومية في سورية، المرجع السابق، ص106.

وبعد أن قدم كاتب المنشور تفصيلا مفصلا للظلم الّذي يتعرض له العنصر العربي، أنهى منشوره بالتأكيد على القول: «فيا أيها المسلمون والمسيحيون، إن نجاحنا وخلاصنا من أيادي الترك متوقف على كلمة واحدة، ويد واحدة، ومقصد واحد لتخليص الأمة العربيّة من ربقة الترك»[1].

4- الجمعية الوطنية العربيّة:

تأسست هذه الجمعية في عام 1895م في باريس، على يد المسيحي خليل غانم، وبدأت الجمعية في تنظيم حملة ثورية ضد الحكم التركي.

وفي عام 1902م نشرت الجمعية منشورا موجها إلى الدول العظمى جاء فيه: «إنّ الأمة العربيّة الّتي قسمها الترك طوائف ومذاهب حتى تم لهم أن يسوموها سوء العذاب، قد انتبهت من غفلتها، فعرفت أنّ لها قومية وطنية تاريخية جنسية، فهي تحاول أن تنفصل عن تلك الشجرة التركية النخرة وتنشئ لها ملكا عربيا مستقلا، ولهذه الدولة حدود طبيعية تبتدئ من دجلة والفرات إلى برزخ السويس، ومن البحر المتوسط إلى بحر عمان، وتكون هذه الدولة سلطنة دستورية حرة يتولى أمرها سلطان عربي»[2].

وفي المنشور كلام موجه إلى العرب هذا نصه: «بني وطني الأعزاء كلّ منا يرى بأم عينه عظم ما صار يلقاه العربي الشريف الكريم من المذلة والازدراء اليوم، حتى غد اسمه موضوع المهزأة عند الأجانب ولاسيما الترك وكلّ منا شاهد لما قد وصلنا إليه من البؤس والجمود والجهل في عهد هؤلاء البرابرة الّذين طغوا على بلادنا من آسيا الوسطى، فبلادنا- وهي جنة الله في أرضه- قد أصبحت اليوم خاوية على عروشها، فلما كنا أمة حرة، فتحنا العالم بأقل من عشرة عقود من السنين، ونشرنا في أمم الأرض مختلف العلوم والفنون والآداب، وظللنا عدة قرون حماة الحضارة وممهدي سبل العمران، ولكن منذ نشبت فيه مخالب أرطغرل واغتصبت الخلافة منا، غدونا نقيم على القهر والذل، فخربت

---

(1) سامي الكيالي، الأدب والقومية في سورية، المرجع السابق، ص ص106-107.

(2) أحمد عزت الأعظمي، القضية العربيّة: أسبابها مقدماتها تطورها ونتائجها، مطبعة الشعب، بغداد، العراق، ص49.

بلادنا وأفقرت أرضنا، وتضعضعت حالتنا تضعضعا ما رأى مثله شعب آخر في الأرض»، ترتب هذه العبارات تأثيرا عميقا في الأوساط العربية[1].

5- جمعية الشورى العثمانية:

تأسست في القاهرة خلال فترة "حكم السلطان عبد الحميد في سنة 1897م بهدف محاربة استبداده[2]، وكان من مؤسسيها محمد رشيد رضا ورفيق العظم، وشارك في إدارتها ونشاطها عدد من الأتراك العثمانيين من الألبان والأرمن والأكراد والعرب المسلمين والمسيحيين، وكانت فروع خارج الدولة العثمانية، وكانت وسائل دعايتها تطبع باللغتين العربيّة والتركية، وترسل منشوراتها إلى الموانئ التركية على البحر الأسود عن طريق المسافرين، ومن هناك يتم استلامها من قبل رسل سريون وتوزيعها في مختلف أنحاء البلاد[3].

وتهدف هذه الجمعية إلى العمل من أجل توحيد جميع الأعراق والقوميات الموجودة في الدولة العثمانية، بهدف تحقيق أمر واحد وهو إقامة نظام قانوني دستوري تحت حكم السلطان عبد الحميد[4].

6- جمعية جامعة الوطن العربي:

تأسست في عام 1904م، في باريس على يد المسيحي نجيب عازوري، وكانت تعرف أيضا باسم "عصبة الوطن العربي"، وكان الهدف الرئيسي لهذه العصبة هو تحرير الشام والعراق من السيطرة التركية، وقد نشرت حوالي خمسين نداءً عنيفا تدعو فيه العرب إلى الثورة ضد الأتراك[5]، وفي عام 1905م نشر نجيب عازوري كتاب بالفرنسية

---

(1) أحمد عزت الأعظمي، القضية العربيّة: أسبابها مقدماتها تطورها ونتائجها، المصدر السابق، ص50.

(2) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة- دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص195.

(3) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914م)، رسالة ماجستير في التاريخ العربي الحديث، معهد الدراسات العربيّة العالمية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1960، ص61.

(4) نفسه، ص62.

(5) جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص ص172-173.

هو (Le réviel de la nation Arabe) "يقظة الأمة العربيّة" دعا فيه إلى فصل الولايات العربيّة عن الدولة العثمانية على أن تكون الحجاز مقرا لخلافة عربية وأن تكون الشام والعراق دولة عربية موحدة عصرية، كما طالب بتوحيد الكنائس الكاثوليكية تحت اسم الكنيسة الكاثوليكية العربية[1].

وفي نيسان/أبريل 1907 أصدر نجيب مجلة شهرية تحمل اسم "الاستقلال العربي" وصدرت حوالي ثمانين عددا منها، وكان الهدف من هذه الجمعية هو التعريف بالبلاد وإثارة اهتمام الناس بقضية تحريرها وتوقفت عن الصدور عندما أعلن الدستور العثماني في تموز/ يوليو 1908م[2].

وعلى ما يبدو أنّ هذه الجمعية تألفت من عازوري فقط، ويعتقد بعض الباحثين أنّها تشكلت من عازوري وشخص آخر فرنسي كان يشغل منصبا سياسيا في الهند الصينية يدعى "Eugéne Jung"[3].

لكن ظهور هذه الجمعية في بلد أجنبي وبلغة أجنبية أدى إلى شل حركتها، كما أنّ الرقابة العثمانية حالت دون وصول نداءات عازوري ومنشوراته إلى البلاد العربية[4].

7- جمعية النهضة العربيّة:

تأسست الجمعية في مدينة إسطنبول في عام 1906م، ومن ثم تم نقل مركزها إلى مدينة دمشق عام 1907م، على يد محب الدين الخطيب، وعارف الشهلي وعبد الكريم الخليل وشكري الجندي ورشدي الحكيم وسامي العظم، وصلاح الدين العظم وزكي الخطيب وطفي الحفار وصالح قنباز ومحمد جمال الحفار ونجيب الشهابي وفائز الشهابي، أمّا المسيحيون فهم فارس الخوري وجورجي الحداد[5].

---

(1) علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914م، المصدر السابق، ص134.

(2) جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص172.

(3) علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914م، المصدر السابق، ص135.

(4) جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص173.

(5) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة- دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص196؛ محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المصدر السابق، ص99.

ويذكر محب الدين الخطيب أنّ مهمة هذه الجمعية هي تعزيز الوعي الثقافي للشباب العرب وتشجيعهم على التعاون في إصلاح المجتمع العثماني الّذي يعتمد على استقامة المجتمع العربي، ومع ذلك يؤكد القاسمي بشكل أقوى على العرب ويقول أنّ هدف المؤسسين كان تحقيق سعادة الأمة العربيّة وإحياء تلك العظمة الباذخة، وأن الجمعية تسعى لجمع أبناء الأمة العربيّة معا، ثم يوضح أنّ هدف الجمعية المعلن في قانونها هو «ليس فيها من الدعوة إلى القوة إلا ما يراد من ترقية عنصر يؤلف مجموعه أكثر من نصف الدولة عددا، فاذا تقدم علميا أدرك معنى حقوقه وواجباته ونفذت إلى قلوب أبنائه شعلة من ذلك الضياء الأبدي، وهو العلم الّذي يستحث العزائم الخامدة والهمم الجامدة ونكون قد رفعنا من قدر الأمة العثمانية على السواء»[1].

وهكذا يتضح لنا أنّ جمعية النهضة العربيّة اتجهت نحو توجه عربي قومي، حيث دعت إلى انتشار الوعي العربي وأكدت أنّ العروبة هي رابطة أساسية وأساس للتقدم، ورأت أنّ القيادة العربية هي ضرورة لتحقيق التقدم في الدولة العثمانية، وحرصت على حفظ حقوق العرب ضمن إطار الدولة العثمانية، وعب أعضاء حلقة الشيخ طاهر الجزائري وجمعية النهضة العربيّة دورا ملموسا في الحركة العربيّة بعد صدور الدستور[2].

تحولت الجمعية إلى جمعية النهضة السورية بعد إعلان الدستور، بهدف تجنب ضغوط الحكومة الاتحادية والترقية، وقد أعلنت نفسها في حفلة وأقيمت في ملهى القوتلي في دمشق، حيث ألقى خطاب كلّ من عارف الشهابي وسليم الجزائري والمسيحي جورجي الحداد ولطفي الحفار ورشدي الحكيم، وآخرون، ولا يوجد دليل على نشاط عملي

---

(1) عبد العزيز الدروري، المرجع السابق، ص ص196-197.

(2) نفسه، ص197.

مهم للجمعية قبل أو بعد إعلان الدستور، إلا ما يمكن أن يكون لها تأثير في توعية الشباب الّذين انضموا اليها[1].

8- جمعية النشأة التهذيبية:

تأسست هذه الجمعية في مدينة حلب عام 1907م، ورغم أنّ اسمها لا يحمل أي توجه سياسي أو قومي، إلا أنّ هذا الأمر يعتبر ظاهريا فقط، حيث اعتمدت الجمعية على العمل السري في أنشطتها ولم تظهر إلى العلن إلا بعد إعلان الدستور العثماني في عام 1908م، وقد عقدت اجتماعات للتحريض على إنشاء الجمعيات لنشر روح التقدم العلمي والأدبي بين الشباب الحلبي، ولكن مثل هذه الأهداف لم تكن تمثل الغايات الحقيقية للجمعية، حيث لم تستدعي سرية العمل بأي حال من الأحوال[2].

المطلب الثاني: الجمعيات العلنية والسرية في العهد الدستوري (1908م-1918)

يتمثل الوعي القومي بين عام 1908 والحرب العالمية الأولى في النشاط الأدبي والفكري، وفي محاولة إنشاء الجمعيات القومية، وقد شهدت الاستانة نشاطا واسعا في إنشاء الجمعيات العربية، ونلاحظ فيها اتجاهين رئيسيين:

الأول هو الاتجاه العثماني الّذي يدافع عن وحدة الدولة العثمانية واستمراها وتحديثها، والثاني هو الاتجاه العربي الّذي يرون أنّ العرب هم أمة لها دورها ومميزاتها وحقوقها، ويشترك الاتجاهان في الاعتقاد بضرورة النهضة والتقم ومواكبة أوروبا، وفي الشعور بخطر الحرب وضرورة مواجهتها[3].

الظاهرة الّتي تفسر لنا الهدف المعلن للجمعيات العربيّة هي مطالب الإصلاح في البلدان العربيّة والّتي تهدف إلى ضمان حقوق العرب في الدولة العثمانية، ومع ذلك، فإنّ ذلك لا ينفي وجود الاتجاه الاستقلالي لدى بعض الأفراد، والّذي ازداد قوة بعد أن تبين أنّ

---

[1] محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المصدر السابق، ص102.

[2] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، المرجع السابق، ص72.

[3] عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص189.

الأتراك، قبل وبعد الدستور، أظهروا عجزهم في مواجهة أوروبا، ويعتبر وقوف الاتحادين ضد العربيّة واعتمادهم سياسة التتريك، وبالتالي المطالبة بتحرير العرب من الأتراك أو أي حكم أجنبي آخر[1].

في سياق هذه الحركة، يجب أن نشير إلى أنّ هذه القوميات لم تكن مبتكرة في الفكر، بل كانت وسيلة للتعبير عن طموحات الطبقة الحاكمة في ذلك الوقت[2]، تشكلت الجمعيات التالية خلال الفترة بين إعلان الدستور العثماني الثاني في 10 تموز/يوليو 1908م، واندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914م[3].

1- جمعية الإخاء العربي العثماني:

هي أوّل جامعة عربية علنية تأسست بعد إعلان الدستور في عام 1908م، وقد تم فتحها لأبناء العرب العثمانيين بغض النظر عن اختلافاتهم الدينية والقومية[4].

بالنسبة لأعضاء الهيئة الإدارية فهم: عارف المارديني، وصادق المؤيد، وشفيق المؤيد، وعبد الله الجدري، وعمر أشرف، وشكر الأيوبي، وشكري الحسيني[5].

ومن الأعضاء المسيحيين البارزين: منشي أفندي وندرة مطران ويوسف رامي وزكي مغامز وإلياس وسام وشكر الألوسي وشبيب الأسعد ويوسف شتوان[6].

يتضمن نظام الجمعية حق الانتساب لكل فرد عربي، ويعرف العربي بأنّه الشخص المولود في بلاد العرب والّذي يتحدث باللغة العربيّة، والّذي يعتبر باد العرب وطنا له.

---

(1) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص59.

(2) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص195.

(3) علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914م، المرجع السابق، ص135.

(4) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص198.

(5) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، [د.ت]، ص15.

(6) عمر فاخوري، كيف ينهض العرب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 1913م، ص ص147-148.

تتميز العروبة بطابعها الخاص، حيث يجتمع فيها المسلمون والمسيحيون من مختلف الطوائف والملل، أنشأت الجمعية صحيفة باللغة العربيّة في الاستانة لتكون لسان حالها، وتمكنت من جذب صحف تركية وفرنسية لمساندة سيادتها في خلق نوع من الوحدة بين العرب وإسطنبول[1].

قام الطلاب العرب في الاستانة بدعم هذه الجمعية في بداية تأسيسها بناء على الشعور القومي والوطني، ولطالما قاوم الطلاب الرب في الاستانة الخطباء الترك واحتجوا عليهم بسبب إساءتهم للعرب، وقد تولت الجمعية مسؤولية استقبال نواب العرب الّذين زاروا الاستانة لأول مرة، حيث نظمت لهم حفلات واستقبلهم أعضاؤها والطلاب بحفاوة، وعبرت عنها مسيرة عربية م تشهدها الاستانة من قبل[2].

تتمثل أهداف الجمعية في تعاونها مع جمعية لاتحاد وتعزيز الالتزام بأحكام الدستور، وتحققي الوحدة بين جميع الأمم الّتي تتبع الراية العثمانية، بغض النظر عن الاختلافات الدينية والقومية، والسعي لتعزيز العدل والحرية والمساواة بين جميع الأفراد، وإزالة الكراهية والعداء بينهم[3]، ومن هنا يتضح أنّ الأفراد القائمين على الجمعية قد حرصوا على عدم الظهور بمظهر يعبر عن أي عداء تجاه الحكم الحالي، حيث أكدوا ولائهم للدولة العثمانية بهدف الحفاظ على قدرتهم على أداء واجباتهم وتحقيق أهدافهم[4].

أمّا أهداف الجمعية فهي:

- المحافظة على القانون الأساسي ووقايته من كلّ خلل.
- تفهم أبناء العرب وسائر العثمانيين أنّ الوطن العثماني لا يقبل التجزئة ومقاومة التفرقة.
- تمتين الروابط بين العرب وسائر الأقوام العثمانية.

---

(1) محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المصدر السابق، ص ص350-352.

(2) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص16.

(3) أحمد قدوري، مذكراتي عن الثورة العربيّة الكبرى، مطابع ابن زيدون، دمشق، سوريا، 1956، ص8.

(4) المصدر نفسه، ص9.

- التمسك بالعرض العثماني والإخلاص لمقام الخلافة الإسلامية.
- السعي لإعلان شأن العرب العربيّة ضمن الجامعة العامة العثمانية وإيالة أبناء العرب على اختلاف مذاهبهم ما منحتهم المساواة الدستورية من حق أحرار الوظائف والمناصب وغير ذلك من الحقوق المشروعة.
- السعي لنشر المعرفة بين أبناء العرب وذلك بتأسيس المدارس وطبع الكتب والرسائل والصحف.
- حث أبناء العرب على التعاون مع سائر العثمانيين لتأسيس الشركات التجارية والصناعية والزراعية.
- مساعدة أبناء العرب وإغاثة فقرائهم ومرضاهم وأيتامهم وأراملهم(1).

لا يمنع تحقيق هذه الأهداف الوطنية العامة للجمعية أي عنصر من العناصر العثمانية من النظر في شؤونه الخاصة، وخاصة العنصر العربي الّذي يتحدث اللّغة القرآنية الكريم وله تاريخ مجيد، فالجمعية تسعى إلى تعزيز شان العرب واللغة العربيّة ضمن الإمبراطورية العثمانية العامة، وتمكين أبناء العرب بغض النظر عن اختلاف مذاهبهم من المساواة الدستورية وتمكينهم من الحصول على الوظائف والمناصب وغيره من الحقوق المشروعة، والسعي لتقديم الدول العربيّة الّتي لا تزال تعاني من أسباب التخلف والتطور، والسعي لتنمية الإنسان العربي وتعليمه، ممّا يزيد من قوته ويوفر الثروة للدولة ويعزز شان العنصر العربي في الدولة العثمانية(2).

وفي نيسان/ أبريل 1909م، اندلعت ثورة في العاصمة إسطنبول، وكان عبد الحميد وراء هذه الثورة، وكان الهدف منها القضاء على جمعية الاتحاد والترقي، ومع ذلك، تمكن الاتحاديين بقيادة محمود شوكت من استعادة نفوذهم وإزاحة عبد الحميد عن السلطة،

(1) علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914م، المصدر السابق، ص ص136-137.

(2) عمر فاخوري، كيف ينهض العرب، المرجع السابق، ص ص150-151.

وتعيين أخيه الأمير محمد رشاد سلطانا بدلا منه، وكان رشاد ضعيفا جدا، لذا سيطر الاتحاد والترقي على الحكم، وكان أوّل إجراء قامت به بعد هذه الأحداث هو حل الجمعيات الّتي أسستها الجماعات غير التركية، بما في ذلك جمعية الإخاء العربي العثماني الّتي اتهمت بالعمل من أجل استقلال العرب، ولجأ الاتحاديون إلى سياسة حكم الدولة بناءً على السيادة القومية للعنصر التركي وتعزيز مكانته على باقي العناصر[1].

وكان حل الاتحاديين جمعية الإخاء العربي سببا في تحفيز الزعماء العرب على اتباع الأساليب السرية، وانتشرت الأفكار القومية في مجالين، الميدان العلني الّذي شمل الأندية والجمعيات المعترف بها رسميا، والميدان السري الّذي تعمل فيه المنظمات السرية بشكل خفي[2].

2- عصبة العثمانية:

تأسست في العاصمة الفرنسية بباريس في شهر تشرين الأول/ أكتوبر عام 1908م، من قبل مجموعة من رجال الأعمال والمثقفين المسيحيين المهاجرين من ولاية بيروت، وقد تكونت الهيئة التنفيذية لهذه الجمعية من مجموعة من المسيحيين هم: شكري غانم، وجورج سمنة، وألفرد بسرسق، ونجيب طراد، وانطلقت العصبة من مبدأ «دعم ونشر الهدف السامي للعناصر الحرة في تركيا»، ومع ذلك، لم يتلاشى النداء الّذي وجهه الاتحاد إلى الاندماج الإقليمي السوري، الّذي تم تغطيته بدعوة للانضمام إلى الدولة العثمانية، وذلك بناءً على طموحات نخبوية للعب دور قيادي في الدولة والمجتمع المحلي في إطار سوريا، دون تحديد جغرافي محدد لهذه التعبير، فالبيان التأسيسي للعصبة يتضمن التوضيح

[1] جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص ص179-181.

[2] نفسه، ص183.

التالي: «حتى ولو كان تأسيس هذه العصبة سوريا، فإنّها – وكما يدل اسمها وهدفها- عثمانية في الأصل ومفتوحة بالتالي لجميع العثمانيين من ذوي الإرادة الخيرة»[1].

إنّ البيان يقدم تفسيرا لأسباب أو الدوافع الّتي تدفعه لاتخاذ قرارات معينة وإجراءات محددة هو «وأنه من الضروري وذلك من أجل خير الإمبراطورية أن يشعر السوريون المبعثرون بأعداد كبيرة على سطح الكرة الأرضية برابطة مشتركة تجمعهم، وأن يفيد رفيقهم سواء في الخارج أو في داخل الجماعة العثمانية» ويطالب البيان الحكومة العثمانية بأن تساعد السوريين في ذلك، وأن تمهد للمبادرات الجريئة، وأن تفتح لها كلّ أبواب الانصهار الوطني وأن تقول لكل شعب ولكل عرق: «أنتم في بيوتكم»[2].

في هذا البيان الاستقلالي، يمكن تحديد سمتين واضحتين وهما:

1) أنّ جميع أصحاب هذا الصوت هم رجال الأعمال والمثقفين المسيحيين الّذين يعيشون في باريس والذين تواصلوا مع الأوساط الاقتصادية الدبلوماسية الفرنسية.

2) ظهوره في الخارج وخاصة في باريس، حيث يوفر جوا فكريا ويبعده عن ضغوط الاتحاديين الّذين بدأوا حملاتهم الانتخابية في مختلف مدن سوريا، يعكس رغبته في الاستقلال والتعبير عن الاتجاهات المكبوتة منذ أيام عبد الحميد[3].

3- الجمعية المركزية السورية 1908م:

لم يتفق السياسيون بالعرب في علاقتهم مع لأتراك على وجهة نظر واحدة، وكثيرا ما نشبت خلافات في الأفكار والدوافع عندما تثار أي مشكلة وطنية، ومع ذلك، لم يكن هذا الخلاف إذ خطورة بما يشير إلى تفكك تام بين أقطاب السياسة العربيّة.

---

(1) وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر السابق، ص116.

(2) وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر السابق، ص166-167.

(3) نفسه، ص167.

كانت أو تجربة للعلاقات العربيّة التركية هي الدعوة الّتي قام بها المسيحيان نخلة باشا مطران ورشيد بك مطران، وأظهرت إخلاص العرب للترك، وتفانيهم في تحقيق الوئام معهم وتوحيد آرائهم في هذا الاتجاه- بعد مرور سنة على إعلان الدستور- ظهر منشور أذاعته جمعية تدعى "الجمعية لسورية" في باريس 25 كانون الأول/ ديسمبر 1908م على رأسها نخلة ورشيد مطران، تدعو إلى استقلال سورية استقلالا إداريا[1].

هاجمها شخصان مسيحيان وهما شكري غانم وسليمان البستاني، على صفحات مجلة "كور يسبوندانس دوريان" وهاجمهما أيضا رفيق العظم وتفي العظم على صفحات جريدة "الأهرام"، وقد دعموا دعوتها إلى استقلال سورية، وعارض العديد من أبناء الجالية السورية في باريس هذه الدعوة، وأعربوا عن استيائهم من مستوى المنشور وأظهروا ولائهم للدولة العثمانية[2].

وجاء كلّ هذا رغم أن رشيد مطران لم يكن يطالب بالانفصال الكامل، وقد اعترض على وصفه بهذه الطريقة، حيث يؤمن باللامركزية كحل جذري لمشكلات الدولة العثمانية، ومع ذلك فإنّ الفكرة الي كانت توجه الساسة العرب من أمثال: تفي العظم ورفيق العظم، ومن المسيحيين: شبلي الشميل، وشكري غانم، وسليمان البستاني آنذاك، هي التوحيد وعدم التفريق، وإذا كان من الضروري تشكيل الجمعيات، فيجب أن لا تتجاوز نطاف الجامعة العثمانية، وبعد تلقي ردود الفعل يلاحظ تراجع نشاط الجمعية نتيجة لعدم توافق المتبعين مع أفكار المؤسسين رشيد ونخلة مطران[3].

4- المنتدى الأدبي:

أسس الشباب العرب عام 1909م المقيمين في مدينة الاستانة المنتدى الأدبي، بهدف تجميع الشباب العرب في الاستانة واستعادة حقوق العرب من الأتراك، وجدوا تأييدا من

---

(1) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914م)، المرجع السابق، ص ص92-93.

(2) نفسه، ص93.

(3) نفسه، ص94؛ محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المرجع السابق، ص291.

قبل الرجال العرب العاملين في القطاع العربي في الاستانة، وساهم في هذا التأييد أعضاء من مختلف الولايات العربيّة، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، ويرغب هذا المنتدى في أن يكون مركزا اجتماعيا وثقافيا للشباب العرب، لذا تركز أعماله على الشؤون الأدبيّة والثقافية في الظاهر، في حين الشؤون القومية هي مجالها الحقيقي، وبذلك يعتبر المنتدى الوطني العربي الوحيد في تلك الفترة في البلدان العربية(1).

ومن أبرز مؤسسيه: عبد الكريم الخليل، محب الدين الخطيب، وجميل الحسيني، ويوسف حيدر، وعزة الأعظمي، وانضم إلى عضويته كلّ من: سليم الجزائري، وتوفيق البساط، وجلال البخاري، وعارف الشهابي، ورشدي الشمعة، وشكري العسلي، وعبد الوهاب الإنكليزي، وعادل أرسلان، وسعيد حيدر، أمّا المسيحيون فهم: رفيق رزق سلوم، ونجيب شقير، وثابت عبد النور، وأسعد داغر، ونخلة مطران، ورشيد مطران(2).

تتمثل أهداف المنتدى القومي في نشر المبادئ السامية بين الشباب العربي سواء داخل الاستانة أو خارجها، وترتكز خطته الوحيدة على تعزيز الدعوة للقضية القومية الوطنية(3).

وفقا للظروف المحيطة والتطورات السياسية، قرر المنتدى الأدبي الّذي كان يعتبر أقوى عامل في نشر الفكرة الوطنية في نفوس العرب آنذاك، تعديل خطته اتجاه الدولة العثمانية والترك.

في البداية كان المنتدى يدعو إلى وحدة الدولة العثمانية بناءً على مبدأ اللامركزية، ولكنه شعر بتجاوز الاتحاديين في التعصب العنصري، ممّا دفعه إلى دعوة الانفصال عن الدولة العثمانية وإعلان استقلال العرب(4).

(1) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص199.

(2) أمين سعد، الثورة العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص16.

(3) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908–1914م)، المرجع السابق، ص261.

(4) محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المصدر السابق، ص355.

في هذه الفترة، بدأ شباب المنتدى بالتجمع والتباحث حول وضع بلادهم وإهمال الدولة العثمانية للبلدان القومية الّتي كانت تحت سيطرتها، وتركت المسؤوليات الكبرى في يد الأتراك والأجانب، وقد أدى هذا إلى استياء العرب من الحصول على المنح الخارجية، ممّا يعني محاولة تركيز العناصر غير التركية والتحقير من الهوية العربية، وبدأ الشباب العرب في كتابة مقالاتهم الّتي تطورت إلى صيحات للحفاظ على كرامة الأمة العربيّة ووحدتها، وزاد التوتر بين الشباب العرب والأتراك، وصل إلى حد العداء العلني، حيث تكررت الدعوات من الأتراك للتخلص من كلّ ما هو عربي، حتى ولو كان ذلك ذا طابع ديني، وبدأوا يملأون أعمدة صحفهم بالهجوم على الأمة العربيّة، بما في ذلك الدعوة لمحو أسماء الصحابة من أروقة المساجد واستبدالها بأسماء تركية، وقد شوهدت أسماء عربية منقوشة على أذناب الكلاب السوداء في شوارع إسطنبول(1).

الأمر الّذي استدعى ردود فعل سلبية من قبل الشباب العربي وأدى إلى تصاعد حالة أعداء، حيث قاموا بترديد الأناشيد الّتي تمجد سابقات أمجادهم ودعوا إلى إحياء تراثهم العظيم والتفاخر به في مناسباتهم، مؤكدين فضل الأمة العربيّة على الأمة التركية.

هنا اقترح رئيس المنتدى عبد الكريم الخليل على النواب في عام 1911، برنامجا يرمي إلى إنهاض البلاد العربيّة على قاعدتين أساسيتين هما:

- تهدف هذه الدراسة إلى توثيق الروابط الأخوية بين العرب، بغض النظر عن اختلاف أديانهم وطوائفهم، بهدف منع الإشارة إلى الانتماء السياسي والوطني لأحد الأفراد بخلاف عروبيته الشريفة.
- توحيد أساليب التعليم في الدول العربيّة، بهدف تحقيق تربية موحدة تساهم في توجيه جميع الأفراد نحو هدف واحد وتطويرهم بشك منسق.

(1) عنبرة سلام الخالدي، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، دار النهار، بيروت، لبنان، 1978م، ص ص75-77.

قبل النواب فكرة تعميم التعليم الابتدائي وتعهدوا بتنفيذها، وهذا الأمر دفع عبد الكريم الخليل للسفر إلى مصر حاملا معه هذا المشروع، يتضمن المشروع تشكيل لجنة لتوحيد التعليم الابتدائي واستخلاص برنامج وحد يكون دستور للعمل في الدول العربية، وتوحيد الكتب التربوية بهدف تحقيق شعور واحد في الدول العربية، تم قبول هذا البرنامج وكان موحدا في البلاد العربيّة.

وفي مصر تشكلت لجنة شملت سبع عشرة شخصية منهم: رفيق العظم، وسبلي الشميل، وأحمد تيمور باشا، وذلك لبدأ العمل وتنفيذه[1].

وفي الحقيقة، كان اهتمام المنتدى موجها أيضا نحو الجانب الاجتماعي والإصلاح السياسي لتعزيز الأمة العربيّة من حيث الثقافة، ولذلك تم تقديم الدروس والمناقشات الهامة في المسائل الاجتماعية والوطنية، وتمت مواجهة أقوال الصحف ومناقشة حقوق العرب، وبهذا الصدد كان المنتدى أوّل مؤسسة تعهدت بفكرة القومية العربيّة بعناية ورعايتها منذ تأسيسه الأول، وظهرت هذه الفكرة في مناقشات أعضائه[2].

نظم المنتدى محاضرات ومسرحيات تتعلق بالتاريخ العربي وأناشيد قومية، وتم تقديمها في تجمعات طلابية كبيرة، تم تقديم نشيد "الليل والنهار" في المنتدى، ولقد لاقى استحسانا كبيرا، حيث تركز على أهمية العرب في الدولة العثمانية، ثم تناول العلم العربي كموضوع رئيسي في المنتدى حيث قادت فكرة الاستقلال الشباب العربي إلى تصميم علم يتكون من الألوان الأبيض والأسود والأخضر والأحمر، تم إيداع هذا العلم في النادي، واستمر المنتدى إلى غاية 1915م، عندما أغلقته الحكومة[3]، كان المنتدى يحظى بشعبية كبيرة ولم تتمكن أي من الجمعيات الأخرى من تحقيق نفس النجاح، وخاصة بعد توقيع

---

(1) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914م)، المرجع السابق، ص266.

(2) نفسه، ص267.

(3) أحمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص ص11-12.

اتفاقية بين العرب والترك، كان الوزراء والأدباء الترك البارزين يحضرون حفلات المنتدى بانتظام[1]، وظلت هويته عربية عثمانية حتى الحرب العالمية الأولى[2].

5- الجمعية القحطانية:

هي أوّل جمعية سرية عربية، تأسست في أواخر عام 1909م، وكان من أعضائها: عبد الكريم الخليل باشا حمادة وعبد الحميد الزهراوي وسليم بك الجزائري، أمّا المسيحيون فمنهم سليم ثابت، وداود الدباني، هدفها بث المبادئ الصحيحة بين أبناء الأمة، وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف[3].

وفي رواية أخرى يذكر أنطونيوس أنّها تأسست في أواخر 1909م، وكان هدفها تحقيق مشروع تحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين، وذلك عن طريق تشكيل مملكة واحدة للولايات العربيّة، تحتوي على برلمانها وحكومتها المحلية، وتكون اللّغة العربيّة لغة معاهدها ومؤسساتها.

ومن المفترض أن تصبح هذه المملكة جزءا من امبراطورية تركية عربية، تشبه في تكوينها الإمبراطورية النمساوية المجرية، ويضع السلطان العثماني تاج المملكة العربيّة على رأسه، بالإضافة إلى تاجه التركي، وبهذا يتم تحقيق الوحدة عن طريق الانقسام، ويصبح مصير الأتراك والعرب متحدا على أسس ثابتة، ويستمر أنطونيوس قائلا: «إنّ الجمعية كان يرأسها عزيز علي المصري، وكان لها أعضاء آخرون منهم: سليم بك الجزائري وأمين وعادل أرسلان وخليل حمادة وأمين قوما المسيحي، وصفوت العوا وشكري العسلي وعلي النشاشبي، وتتجلى قيمتها في تاريخ الحركة القومية عبر محاولتها

---

(1) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص17.

(2) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص201.

(3) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص18.

الأولى لإشراك الضباط العرب في الجيش التركي، بهدف تعزيز التعاون في ساحة الحركة القومية العربية[1].

وانتشرت مبادئ هذه الجمعية بين الشباب العربي وضباطهم في الجيش العثماني وأعضاء المنتدى الأدبي، وزاد عدد المشتركين فيها بشكل كبير، ومن الّذين انضموا إليها مؤخرا الدكتور عزت الجندي، وحسن حمادة، وأمين لطفي حافظ وغيرهم، واستمرت هذه الجمعية حتى وقت الحرب العالمية الأولى 1914[2].

6- جمعية النهضة اللبنانية:

تأسست عام 1909م في بيروت، وكان جميع أعضائها من الطائفة المسيحية: خليل زينية، وزرق الله أرقش، وعيسى المر، ويوسف القليوني، وسعيد عقل، وبشارة الخوري، ومن أعضائها في مصر: إسكندر عمون، وداود عمون، وداود بركات، وشكري غانم، وفليب الخازن، وفريد الخازن، وشارل دباس، وخير الله، وزويني الخوري.

وكان معظم أفراد الجالية اللبنانية في البرازيل والأرجنتين يؤمنون بمبادئ هذه الجمعية ويسعون لتحقيق هدفها الّذي يتمثل في تسهيل استيلاء فرنسا على سوريا ووضعها تحت وصاية فرنسا[3].

7- الجمعية العربيّة الفتاة:

تأسست هذه الجمعية في باريس سنة 1909م، من طرف بعض الشبان العرب تحت اسم "جمعية الناطقين بالضاد"، وكانوا جميعهم مسلمون، يواصلون دراستهم العالية في العاصمة الفرنسية[4]، ومن أبرز أعضائها: عوني عبد الهادي، ومحمد المخمصاني، وعبد الغني العريسي، وجميل مردم، ورستم حيدر وغيرهم[5]، ثم اصبح اسمها "جمعية العربية

---

[1] جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص ص186-187.

[2] أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص18.

[3] أحمد عزت الأعظمي، القصية العربية، أسبابها مقدماتها تطورها، المصدر السابق، ص ص72-73.

[4] جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص ص185-190.

[5] مفيد الزبيدي، العصر العثماني، دار أسامة للنشر، الأردن، عمان، 2003، ص309.

الفتاة" منذ عام 1911م، حيث برز الاتجاه القومي التركي عند جماعة الاتحاد والترقي، وكانت الجمعية تهدف إلى النهوض بالأمة العربيّة داخل الدولة العثمانية، تحت ظل التكتم والسرية، حتى إنّ العضو المنظم إليها لا يعرف إلا اسم الجمعية والشخص الّذي أدخله الجمعية وحلفه اليمين الخاص بالجمعية، وكنت مطالب هذه الجمعية تختلف تماما عن مطالب العرب، فغايتهم ومطالبهم الأولى هي استقلال العرب استقلالا تاما بجميع معانيه الحقوقية والسياسية[1].

وكان لها الدور الرئيسي في الدعوة للمؤتمر الأول بباريس واتصلت بحزب اللامركزية وبجمعية بيروت الإصلاحية لهذا الغرض[2].

وكان مركز الجمعية في باريس من خلال السنتين الأولين، وبقي أعضاؤها قليلين هناك، بعد أن أنهى مؤسسوها دراستهم وتخرجوا عادوا إلى بلادهم، فنقلت الجمعية سنة 1913م، واتخذت بيروت مقرا لها لأنّ أكثر مؤسسيها من بيروت، وتولى الدكتور أحمد قدوري إدارة فرعها في دمشق، فاتسع نطاقها وكثر عدد الداخلين فيها، وضاعفت نشاطها بعد إعلان الحرب العظمى، وخصوصا بعد انتقال مقرها العام من بيروت إلى دمشق، وذلك راجع إلى الهجرة لأنّ معظم رجالهم انتقلوا إلى دمشق[3].

وكانت لهذه الجمعية سجلات تنظيمية يديرها السكرتير العام لها محمد المحمصاني، وكانت تعقد اجتماعات أسبوعية بانتظام وتسجل قراراتها في سجل خاص.

وكذلك الأشخاص الذين انضموا إليها بعد انتقالها إلى سوريا وقبل إعلان الحرب مودني كلهم في هذه السجلات منهم: نسيب البكري، والأمير عارف الشهابي، وتوفيق الناطور، ومحمد الشريقي، وعمر حمد، وتوفيق البساط، ورفيق رزق سلوم، ومحب الدين الخطيب، وصالح حيدر، وإبراهيم حيدر، والشيخ كامل القصاب، ودخل فيها بعد إعلان

---

(1) جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص185-186.

(2) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص203.

(3) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص ص17-18.

الحرب كلّ من: فيصل بن الحسين، وعلي رضا باشا الركابي، وياسين الهاشمي، كما دخل فيها فيما بعد نهاية الحرب الكثيرون، وكان من جملة قواعدها دعوة أعضائها إلى الاتصال بالجمعيات العربيّة الأخرى، والدخول فيها لتكون على معرفة بكل حركة تحدث[1].

وكان جميع أعضائها من المسلمين ما عدا قليل من المسيحيين، وقد بقي ظل سر قيامها مكتوما حتى النهاية، ولم يدفع هذا السر إلا بعد أن نالت البلاد العربيّة استقلالها وتحررت من الحكم التركي، وإبان الحرب العالمية الأولى حين كان الأتراك يتتبعون الوطنيين العرب بتهمة الخيانة، حاول أحد أعضائها الانتحار بسبب ما عاناه من التعذيب الجسدي، وأخذ عضو ثاني إلى المشنقة وشنق، ولم يبوحا بسر هذه الجمعية.

وقد يبدو أنّ اليمين الّذي كان على الأعضاء أن يؤدوه ليس إلا مسرحية عنيفة لا قيمة لها، ولكن أي ضرر من المسرحيات العنيفة إذ كانت تلهم الإخلاص للنهاية[2].

8- جمعية العلم الأخضر:

تأسست هذه الجمعية في الاستانة في أيلول/ سبتمبر 1912م، بهدف تعزيز الروابط بين الطلاب العرب في المدارس العليا وتوجيه جهودهم لتحسين وضع أمتهم الحالي.

وتأسست على يد إسماعيل الصفاد، وفايق شاكر، وعلي رضا الغزالي، وعبد العزيز البدي، وأحمد عزت الأعظمي، وعاصم بسيسو، ومسلم العطار، ومصطفى الحسيني، وشركي غوثي، والمسيحي داود الديواني.

أصدرت الجمعية مجلة "لسان العرب" بهدف ن تعكس حاتها وتعبر عنها، ثم تم تغيير اسم المجلة بالى "المنتدى الأدبي"، وأصبحت هذه المجلة الناطقة باسم المنظمة الّتي استمرت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى[3]، وقد نشرت المجلة العديد من المقالات

---

(1) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص18.

(2) جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص188-189.

(3) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص19.

والقصائد والأبحاث لأدباء وكتاب مشهورين، وكانت جميعها تهدف إلى تعزيز الانتماء القومي العربي وإحياء الذكرى العربيّة العظيمة والدفاع عن اللّغة العربية، وتدعو إلى نهضة عربية علمية واجتماعية، وتنشر سيرا ذاتية لشخصيات عربية قديمة وحديثة مشهورة[1].

9- حزب اللامركزية الإدارية العثماني 1912م:

تنشط في بيروت المعارضة لسياسة الاتحاديين وتعتبر نفسها طلاب الإصلاح الإداري، حيث تهدف إلى منح ولايات بيروت وسورية وفلسطين صلاحيات إدارية واسعة تعبر عنها بمفهوم اللامركزية، وذلك لضمان تقدمها وسرعة تنفيذ مصالح الشعب، أمّا الهدف الحقيقي الّذي يدور في أذهان النواب والأدباء والمفكرين السوريين، فهو الاستقلال الكامل لسورية، ولكنهم لم يجرؤوا على المطالبة به بشكل صريح، بل اكتفوا بالمطالبة باللامركزية، وعلى هذا الأساس، يتحد الاستقلاليون مع أنصار توسيع صلاحيات الولايات أو الاستقلال الإداري، ويعرف الفريقان باسم "أنصار الإصلاح الإداري" داخل البلاد[2].

أصبحت الاتجاهات الإصلاحية نحو اللامركزية عام 1911م واضحة ومتعددة الخطوط في العالم العربي، وتأتي تأسيس حزب الحرية والائتلاف كتعزيز لهذا الاتجاه، ومع ذلك أدى الغزو الإيطالي لطرابلس عام 1911م وفشل القوات العثمانية في الحرب البلقانية وتلميحات بعض الدول الأوروبية بشأن مطامعها في بعض البلاد العربيّة وعرض المسألة الشرقية في الصحف والنوادي الأوروبية إلى زيادة التخوف لدى العرب من مستقبل بلادهم، ربط العرب بين الضعف والكوارث والمركزية، ممّا أكد الدعوة إلى اللامركزية وزاد نطاقها، وقد أدى ذلك إلى تطوير كلّ قطر[3].

وفي عام 1912م أسست جماعة من السوريين المتميزين في الفكر والاختبار السياسي حزبا سياسيا يعرف باسم "حزب اللامركزية الإدارية العثماني"، كان الهدف

[1] محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المصدر السابق، ص479.

[2] يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، دار النهار، بيروت، لبنن، 1991، ص117.

[3] عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص241.

الرئيسي من تأسيس هذا الحزب هو الحفاظ على الإمبراطورية العثمانية من التهديدات الخارجية المحيطة بها ومن الصرعات الداخلية، وتعزيز الولاء لوحدة الإمبراطورية العثمانية والانتماء للرمز الّذي يجمع بينهم وهو العرش العثماني[1]، كما كان من بين أهدافه أيضا التأكيد على فوائد الإدارة اللامركزية في الدولة العثمانية للشعب العثماني المتكون من مجموعة متنوعة من العناصر الثقافية واللغوية والدينية والعادات المختلفة، والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بإنشاء حكومة تستند إلى مبادئ اللامركزية الإدارية في جميع ولايات الدولة العثمانية[2].

ونشاطهم كان ذا طابع قومي عربي يهدف إلى تعزيز وعي الأمة العربيّة وتمكين العرب من حقوقهم في الدولة من خلال تبني نظامل عير مركزي، ممّا يؤدي إلى تعزيز قوة واستقرار الدولة العثمانية[3].

تأسيس الحزب من: رفيق العظم، وحقي العظم، ورشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، وعزت الجندي[4]، أمّا الأعضاء المسيحيون هم: إسكندر عمون المحامي، ودود بركات، وسامي الجرديني، وشبلي الشميل، ونعمان أبو الشعر، ونجيب بسترس، وخليل أيوب، واختاروا رفيق العظم رئيا للحزب وإسكندر عمون نائبا للرئيس[5].

أسس الحزب فروعا له في العراق، وعلى الرغم من أنّه كان معلنا، إلا أنّ أعماله ومراسلاته مع فروعه وأعضاء الحركة القومية كانت تتم بسرية تامة، وحذر تجنب خيانة الأتراك ومراقبتهم، وخصوصا الأعضاء المقيمين في جمعية الاتحاد والترقي الّذين كانوا يراقبون نشاط الحزب، وعندما اندلعت الخرب العالمية الأولى، أصبح الحزب عدوا للدولة

(1) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص94.

(2) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص22.

(3) عنبرة سلام الخالدي، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، المرجع السابق، ص77.

(4) أحمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربيّة الكبرى، ص15.

(5) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص22.

وتم تفكيك وإعدام أعضائه غيابيا الّذين كانوا في مصر[1]، ولبدأ الحزب منذ تأسيسه في العمل على تحقيق الإصلاح، وكتب أعضاؤه مثل حقي العظم والمسيحي شبلي الشميل، في الصحف يطالبون بالإصلاح على قعدة اللامركزية، وبالتعاون مع الجمعيات الإصلاحية العربيّة الأخرى الّتي بدأت تعمل في سبيل الإصلاح[2].

واحدة من النقاط الملفتة في برنامج اللامركزية ونشاطه هو أنّه يمثل نقطة تلاقٍ بين مختلف الاتجاهات الليبرالية والإصلاحية في المشرق العربي، فقد شكلت اللامركزية الإدارية الّتي دعا إليها البرنامج القاسم المشترك بين المثقفين والمفكرين المسيحيين الليبراليين الّذين كانوا يسعون للاستقلال عن الدولة العثمانية من جهة، والإصلاحيين المسلمين الّذين يعارضون التتريك ويسعون لتبني مفهوم أمة عربية واحدة في إطار السلطنة العثمانية من جهة أخرى، لكن دون أن تلغى عند الاتجاه الليبرالي المسيحي موقف المطالبة بالاستعانة بالغرب، ودون أن تلغي مشاعر الخوف من تفكك الإسلام السياسي المتمثل في السلطة العثمانية والوقوع في قبصة السيطرة الغربية عند الاتجاه العروبي الإسلامي[3].

إنّ قيمة هذا الحزب في تاريخ الحركة العربية تكمن في كونه أوّل تجربة تنطوي على العمل المنظم[4]، حيث أصبح واحدا من أفضل المتحدثين باسم العرب في غضون فترة قصيرة، حيث انتشرت أنشطته في جميع الدول العربيّة وأبدى اللبنانيون في مصر أكبر حماسة اتجاهه[5].

(1) محمد جيل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ط1، ج2، مطابع دار الكشاف، بيروت، لبنان، 1950، ص24.

(2) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914م)، المرجع السابق، ص360.

(3) وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر السابق، ص132.

(4) جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص185.

(5) نفسه، ص186.

10- الجمعية الإصلاحية البيروتية:

تسلم حزب الحرية والائتلاف العثماني الحكم بعد اندلاع ثورة ألبانيا في عام 1912م ضد الدولة العثمانية، وقادة حكومة الصدر الأعظم كامل باشا، وفي هذا السياق دعا الحزب الولايات العربيّة إلى عق اجتماعاتها العامة لوضع لوائح تهدف إلى إجراء إصلاحات مفيدة، وذلك تأكيدا من الحزب على الالتزام بالنظام اللامركزي[1]، وكان المسلمون أوّل من استجاب لدعوة الحزب وذلك نظرا للقلق من استغلال الأكثرية المارونية لعلاقتها بفرنسا، وخوفا من أن تحتل فرنسا البلاد بحجة سوء الإدارة وبناء على نفوذها الأدبي والثقافي والمصالح الاقتصادية الّتي تمتلكها[2]، وقدمت الجمعية برنامجا للإصلاح إلى الوالي يتضمن ما يلي:

- الاعتراف باللغة العربيّة لغة رسمية في دوائر الولايات الحكومية.
- أن تعين العاصمة رؤساء الدوائر العارفين باللغة العربية، وأن يكون بقية موظفي الدوائر من أبناء الولاية.
- وضع الشؤون الخارجية في ولاية بيروت والجيش والجمارك في يد الإدارة المركزية والشؤون الداخلية في يد المجلس الأعلى للولاية.
- تأليف مجلس تمثيلي في الولاية له سلطات محلية واسعة منها إقرار ميزانية الولاية.
- تعيين مستشارين أجانب في دوائر الولاية الحكومية توافق العاصمة على اختيارهم وتعيينهم.
- أن يقضي أبناء الولاية الخدمة العسكرية فيها أيام السلم.

وقد تم قبول وتأييد هذا البرنامج من طرف المسلمين والمسيحيين في بيروت[3].

---

(1) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص26.

(2) نفسه، ص ص26-27.

(3) نفسه، ص30.

إنّ العنصر المميز في محتوى هذه اللائحة هو فقرة المستشارين الأجانب الّتي تنص على «تعيين الحكومة المركزية مستشارين من الأجانب وذلك لدوائر العدلية، النافعة، المعارف، البلدية، البوليس»، إذا كانت هذه النقطة قد تعرضت للانتقاد والتجريح من قبل الحكومة الاتحادية، وقد اتهمت العناصر المسيحية في الجمعية الإصلاحية بأنّهم درسوا هذه المسألة بناءً على توجيهات من فرنسا الّتي تسعى للسيطرة على سوريا، بهدف تمهيد الطريق لها لتحقيق أهدافها.

يرى محمد عزة دروزة أنّ هذا الأمر تم بموافقة الأعضاء المسلمين أيضا، ولكنهم وافقوا من أجل الاستقلال وليس للحماية[1]، ويعود سبب ذلك إلى نقص الخبرة الّذي دفع بالحكومة المركزية إلى الاعتماد على الخبراء الأجانب، وهو أمر قد يكون مرغوبا من قبل العناصر المسيحية[2].

كان أعضاء الجمعية المسيحية الّذين كانوا أعضاء سابقين في جمعية النهضة اللبنانية يقومون بإجراء اتصالات سرية مع فرنسا، حيث يطالبون بسيطرتها على سوريا بشكل عام، وقد أشارت تقارير سرية رفعها كوجيه (Couget) قنصل فرنسا العام في بيروت في تقرير سري رفعه إلى وزير الخارجية جونار في شه آذار/ مارس 1913م، أشار فيه إلى أنّ خليل رينيه مير صحيفة "الشباب" قدم بيانا نيابة عن الأعضاء المسيحيين بدو علم أي من الأعضاء المسلمين، وذلك يتضمن أمن سوريا للمسيحيين وتأكيد ارتباطهم بفرنسا ومدى تعلقهم بالتعهدات الّتي قطعتها فرنسا لهم، وقد أرفق القنصل تقريره بخطاب الأعضاء المسيحيين الّذين عرضوا فيه مطالبهم بالاستقلال عن الأتراك المتعصبين، وذلك حتى لو تم تنفيذ الإصلاحات الّتي يطالبون بها[3].

---

(1) محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المصدر السابق، ص405.

(2) نفسه، ص ص405-406.

(3) أحمد غزت الأعظمي، القضية العربية، المصدر السابق، ص ص76-77.

ولقد ساند المسيحيون في سورية مشاريع الإصلاح الّتي تدعي الحكومة التركية القيام بها مع المسلمين بسبب إحباط نيات الحكومة التركية ومنها من الاستثمار بوضع المشروع بالطريقة الّتي تريدها ليتضمن المشروع مبدأ المراقبة الإدارية في كلّ فرع من فروع الإدارة[1].

إذ قبلت جميع أعضاء اللجنة هذا المبدأ دون تمييز بين المسلمين والمسيحيين، فإنّ الدليل سيؤكد بشكل قاطع أنّ السكان بأكملهم يرون أنّ الإصلاح في تركيا أمر مستحيل ما لم يتم بمساعدة أوروبا.

ولو فرضنا أننا توصلنا إلى الإصلاح دون مساعدة فرنسا، فإننا كمسيحيين بسوريا لنبتعد عن فرنسا لأنّنا متحدون معها اتحادا لا انفصام فيه، وأقصى ما يسعى إليه مسيحيو سوريا هو أن تحتل فرنسا سوريا ولذلك، نقدم نحن الموقعون أدناه ونيابة عن مسيحي بيروت الاقتراحات التالية:

- احتلال فرنسا لسورية.
- استقلال بيروت استقلالا تاما تحت حماية فرنسا ووصايتها.
- إدماج ولاية بيروت بلبنان الّذي يكون تحت سيادة فرنسا الفعلية.

الموقعون ميشال تويني، ويسوف الهاني، وبيترو طراد، وأيوب ثابت، ورزق اله أرقش، وخليل رينيه[2].

وكانت حجة المسيحيين في هذا الأمر تتمثل في الظروف الّتي واجهوها داخل الدولة العثمانية مثل زيادة الضرائب وتفاقم التعصب بين المسلمين ممّا دفع المسيحيين إلى الهجرة وكان لديهم اعتقاد بأنّ الإصلاحات لن تتحقق إلا من خلال تدخل أوروبا وتحت حمايتها، وكان هذا الاعتقاد مشتركا بأنّ الإصلاحات لن تتحقق إلا من خلال تدخل أوروبا وتحت حمايتها، وكان هذا الاعتقاد مشتركا بين المسيحيين في سوريا، والذين كانوا

---

(1) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص105.

(2) نفسه، ص106.

يعتبرون أنفسهم موحدين مع فرنسا ومعجبين بها وبمدينتها العالية، وبالتالي فإنّ أقصى ما يطالبون به هو أن تحتل فرنسا سوريا وتحميها وتدير شؤونها[1].

قامت الجمعية بعد إلغائها والأمر بحل اللجنة الإصلاحية في 8 نيسان/ أبريل 1913م، بهذه الطريقة الاستبدادية بيان أوضحت فيه أنّ مصادرة الحرية الاجتماعية وخنق الفكرة الإصلاحية على هذا النحو منافيا لأحكام القانون الأساسي، فهما يعتبران في نظر العالم المتمدن ضغط على الاستقلال الشّخصي وحرية التفكير، وقد وقع على هذا البيان كامل الصلح، وعمر طبارة، وأحمد طبارة، وسليم سلام، ومحم الفاخوري، أمّا المسيحيون فكان منهم: إسكندر مازار، وأيوب ثابت، وجان بطرس، ورزق الله أرقش، ويوسف الهاني، وبيترو طراد، وألبير سرسق، وحنا نقاش، وآخرون[2].

11- جمعية العهد:

تأسست في الجيش العثماني في 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1913م، وهي جمعية سرية سياسية بدأت فكرتها لدى عزيز علي المصري وضمت نخبة من الضباط العرب معظمهم من العراقيين، ومن الأسباب الّتي دعت إلى تأسيسها فشل مساعي الإصلاحيين العرب مع الاتحاديين بعد المؤتمر الأول، وتآمر الاتحاديين على رجال الإصلاح، فاجتمعت إرادتهم في الأستانة على التوصل إلى حل للقضية العربية[3]، ولاسيما بعد أن تأكدت لهم نوايا الاتحاديين اتجاه العرب وأنهم لا يضمرون لهم إلا السوء، فكان أن استقال علي عزيز المصري من الجيش وقام بتأليف جمعية العهد سرا[4].

يمكننا استنتاج ملامح وأفكار هذه الجمعية من خلال برنامجها السياسي الّذي يهدف إلى تحقيق استقلال الدول العربيّة الداخلي وتحقيق الوحدة مع حكومة الاستانة واتحاد

---

(1) أحمد عزت الأعظمي، القضية العربية، ص ص79-81.

(2) محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المصدر السابق، ص ص411-412.

(3) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص51؛ عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص202.

(4) أحمد عزت الأعظمي، القضية العربية، ص55.

البحر مع النمسا، والحفاظ على الخلافة الإسلامية في يد بالعثمانيين، والدفاع عن الاستانة ضد طموحات الدول الأجنبية، وأن يكون للعرب القوة الاحتياطية المساندة للأتراك في الدفاع عن المشرق ضد الغرب[1].

بالإضافة إلى تعزيز القيم الفاضلة ونشر الدعوة للتمسك بالأخلاق الحميدة، لأنّ الأمة لا تحافظ على هويتها السياسية القومية إلا إذا كانت مميزة بالأخلاق الحميدة[2].

وكان من أبرز أعضائها: طه الهاشمي، ونوري السعيد، وجميل المدفعي، ومولد مخلص، وعبد الله الديلمي، وسليم الجزائري، وعوني القضملي، ومحمد اسماعيل، ومصطفى وصفي، وعلي النشاشيبي، وعلي جودت، ومحمد حلمي، والحاج ذياب، وعلي الغزالي، وعبد الغفور البدري، وغيرهم الكثير[3].

ولقد كان هؤلاء على درجات متفاوتة من الثقافة وعمق تفكيرهم لكنهم سواسية في حماستهم الوطنية وثقافتهم العسكرية، وقد أحدثت هذه الجمعية ضجة كبيرة في دوائر الاستانة نظرا لما عرف به رجالها ومؤسسوها من الصلابة والقوة ولأنّها ظهرت في ظروف توترت فيها العلاقة بين الاتحاديين والشبيبة، الأمر الّذي أدى بالاتحاديين إلى تفريق رجالها قبل أن يشتد ساعدها[4].

---

(1) أحمد عزت الأعظمي، القضية العربية، المصدر السابق، ص ص57-58.

(2) نفسه، ص53.

(3) نفسه، ص55.

(4) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص79.

خلاصة:

شهدت بلاد الشام حملة تبشيرية واسعة النطاق تتمثل في وصول العديد من البعثات التبشيرية من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وروسيا، وقدمت مذاهب مختلفة منها الكاثوليكية والبروستانتية والأرثوذكسية، وساهمت عدة عوامل في ظهور التبشير في بلاد الشام، أبرزها التنوع الاجتماعي متعدد الطوائف في المنطقة، ولتحقيق أهدافها استخدمت الحملة عدة وسائل أهمها التركيز على التعليم، في المقابل كن للإرساليات التبشيرية آثار عديدة على المنطقة.

ومع ظهور الحركة الفكرية في منطقة الشام، توسع تأثيرها على المجتمع العربي من خلال ظهور فئة متميزة من الشّخصيات البارزة من الشام، مثال بطرس البستاني، وفارس الشدياق، وناصيف اليازجي، ونجيب عازوري، والعديد غيرهم.

وكان لتفشي الجمعيات السرية والعلنية في الأوساط العربيّة تأثيرا كبيرا في استيعاب فكرة القومية العربية، حيث اهتمت هذه الجمعيات في البداية بالتراث العربي وإحياء اللّغة العربيّة الّتي تراجعت مكانتها خلال فترة الحكم العثماني، ثم تطورت هذه الجمعيات لتشكل ما يعرف بالأحزاب السياسية الّتي تدعو إلى الإصلاحات مثل الدعوة إلى اللامركزية وغيرها، ثم تطورت الحركة العربيّة القومية بعد وصول الاتحاديين إلى الحكم وسعيهم لفرض سياسة التتريك وتهميش العرب واللغة العربية، ممّا أدى إلى التفكير في الانفصال عن الدولة العثمانية والعمل على ذلك خاصة خلال فترة حكم الاتحاديين.

الفصل الثاني

المؤتمر العربي والثورة العربية الكبرى

المبحث الأول: المؤتمر العربي

المطلب الأول: المؤتمر العربي الأول (1913م):

عندما تم تأسيس الجمعية الإصلاحية في بيروت، بدأ خمسة من الشباب العرب في باريس يفكرون في تنظيم مؤتمر عربي يدعو إليه المنظمات العربيّة المعنية، سواء كانت علنية أو سرية، كمناقشة الأوضاع في بلادهم تحت الحكم العثماني، بعيدا عن الجو الإرهابي الّذي تم ترويجه بواسطة الاتحاديين في تلك الأماكن، ونذكر من الشباب: عبد الغني العريسي، وعوني عبد الهادي، وتوفيق الناطور، وجميل مردم، ومحمد المحمصاني.

قام هؤلاء الشباب المشاركون في الجمعية العربيّة للفتاة[1]، بالتحضير للمؤتمر المذكور، وقاموا بالتواصل مع شخصيات عربية في باريس مثل: شكري غانم، وندرة مطران، وأعجبتهم الفكرة، ودعوا الجالية العربيّة هناك لحضور اجتماع عام، والّذي وافقت فيه على فكرة المؤتمر[2].

وانتخبت لجنة تحضيرية متكونة من المسيحيون منهم: شكري غانم، وندرة المطران، وشارل دباس، وجميل معلوف، أمّا المسلمون فهم: عبد الغني العريسي، ومحمد المحمصاني، وعوني عبد الهادي، وجميل مردم، كلهم ثمانية أشخاص[3].

بدأت اللجنة بالتواصل مع حزب اللامركزية في مصر لإبلاغهم بأنّ الهدف الرئيي للمؤتمر هو الحفاظ على وحدة الأمة العربية وتعزيز تقدمها الحضاري، وأن أهداف المؤتمر تتماشى مع أهداف الحزب نفسه، كما أعربوا عن استعدادهم لخدمة الوطن في حالات الطوارئ وإصلاح الشؤون العامة بناءً على مبدأ اللامركزية، وبعد الحصول على موافقة الحزب، قامت الجمعية بإصدار دعوة عامة لأبناء الأمة العربيّة للمشاركة في

---

(1) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص252.

(2) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص32.

(3) المؤتمر العربي الأول، الجنة العليا لجزب اللامركزية، مصر، القاهرة، 1913م، ص ص4-5.

المؤتمر أو دعمه من خلال البرقيات والرسائل[1] وحددت موضوعات المؤتمر على النحو التالي:

- الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال.
- حقوق العرب في المملكة العثمانية.
- ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية.
- المهاجرة من سورية وإليها[2].

وعندما أجاب الحزب بالموافقة، قامت اللجنة بنشر منشور إلى أبناء الأمة العربيّة، حيث ناشدتهم لتقديم الدعم والمساندة سواء من خلال الوفود أو الرسائل أو البرقيات.

وجاء هذا المنشور موقعا بتوقيع لجنة المؤتمر العربي، ثم عقد المؤتمر بين 18 و23 حزيران/يونيو 1913م، في قاعة الجمعية الجغرافية الكبرى في شارع سان جرمان بباريس، وشارك فيه أعضاء اللجنة العليا لحزب اللامركزية: عبد الحميد الزهراوي، ورئيس جمعية الاتحاد اللبناني، المسيحي إسكندر عمون، وسليم علي سلام، وأحمد مختار بيهم، وأحمد طبارة، والمسيحيون: خليل رينيه، وأيوب ثابت، وألبير سرسق عن الجمعية الإصلاحية الّتي تمثل بيروت، توفيق السويسي، وسليمان عنبر عن العراق، محمد حيدر وإبراهيم حيدر بعلبك، والمسيحي نعوم مكرزل ممثل جمعية النهضة اللبنانية، والمسيحي إلياس مقصود ممثل جمعية الاتحاد السوري، وعباس بجاني من المهاجرين إلى المكسيك، والمسيحي شكري غانم عن الجالية العربيّة في باريس، وعبد الغني العريسي صاحب جريدة المفيد في بيروت، والمسيحي ندرة مطران من أعيان بعلبك، وعوني عبد الهادي من أعيان نابلس، والمحامي المسيحي شارل دباس، والمسيحي خير الله محرر جريدة

---

[1] المؤتمر العربي الأول، الجنة العليا لجزب اللامركزية، ص ص6–7؛ أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص33.

[2] أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص32؛ المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص ص7–8.

الطان، وجميل مردم من أعيان دمشق، ومحمد المحمصاني من وجهاء بيروت، وعبد الكريم الخليل عن جالية القسطنطينية رئيس المنتدى الأدبي[1].

وقبل انعقاد المؤتمر، تم انتخاب الوفود لتشكيل اللجنة الإدارية الّتي ستتولى إدارة المؤتمر، وتتكون هذه اللجنة من الأعضاء التالية أسماؤهم: عبد الحميد الزهراوي رئيسه، وشكري غانم نائب للرئيس، وسليم سلام وإسكندر عمون وأحمد طبارة وندرة مطران وكلاء، وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وعوني عبد الهادي وجميل مردم كتابا بالعربية، وشارل دباس كاتبا بالفرنسية[2].

وقد تم ملاحظة تمثيل المسلمين والمسيحيين بالتساوي في لجنة المؤتمر، على الرغم من أنّ القائمين على شؤون المؤتمر ومعظم المشاركين فيه من سوريا وبلاد الشام والمهجر، ونظرا للظروف العامة، تم توجيه الدعوة باسم الجالية العربيّة في باريس إلى أبناء الأمة العربية، وكان الهدف من هذه الدعوة تمثيل الأمة العربيّة المنتشرة في جميع أنحاء العالم، ومع ذلك، اقتصر الحضور على العرب في الدولة العثمانية والمهجر، وهذا مفهوم بناء على أهداف المؤتمر، ويلاحظ أيضا أنّ المشاركين في المؤتمر كانوا من الأعيان والتجار والصحافيين والطلاب، وهذا يعكس أهمية الحركة العربيّة[3].

وبما أنّ الدعوة انتشرت وصلت إلى المؤتمر رسائل تشجيع من مختلف المناطق في القدس، ودمشق، وبيروت، وقد حملت اسم المسيحي إلى جانب المسلم، وأرسلت الجاليات والأحزاب والجمعيات العربيّة مندوبين إلى المؤتمر[4]، وقد قامت وسائل الإعلام العربيّة بالدفاع عن المؤتمر ضد حملات الصحف التركية الّتي وصفته بأنّه مؤتمر غريب ولا يستحق الاهتمام، وفي هذا السياق، يجب الإشارة إلى الجهود الّتي بذلتها الحكومة الاتحادية

---

(1) المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص ص14-15.

(2) نفسه، ص27.

(3) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص ص252-253.

(4) المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص ص12-13.

لمنع عقد المؤتمر، حيث حاولت التشهير بالمصلحين العرب من خلال اتهامهم بسوء النية تجاه الدولة العثمانية[1]، كما حاولوا إقناع الحكومة الفرنسية والمسيحيين بتحريض عبد العزيز جاويش للدعوة إلى الجامعة الإسلامية، ومنعت الصحافة المصرية من دخول البلاد وأغلقت المنتدى الأدبي، وأخيرا، حاولوا اغتيال بعض الزعماء العرب مثل طالب النقيب ومع ذلك فشلت هذه الجهود وكانت غير فعالة[2].

واجه المؤتمر المعارضة حتى من قبل عدد من الشّخصيات الإسلامية والمسيحيين، وقد تم تمثيل وجهة نظر شكيب أرسلان في هذه المعارضة، حيث يقول: «كان من وجهة نظري أنّ مؤتمر كهذا لا ينبغي أن يعقد في عاصمة كباريس، لها ما لها من المطامع في سورية، ولا يجوز أن يعقد بينما الدولة مشغولة بالحرب في البلقان، وفقدت قسما عظيما من السلطنة، وسقطت أهميتها العسكرية والسياسية، وإن سقوط أهمية الدولة لا ينحصر ضرره في الترك وحدهم، بل يتناول جميع المسلمين، لأنّ الأوروبيين مهما اجتهدنا وحاولنا التظاهر بالقومية لا يعرفون المسلمين إلا أمة واحدة، إذا سقط بعضهم رأيت الأوروبيين احتقروا الجميع»[3].

أثناء انعقاد المؤتمر، سعى محمد باشا العظم وعبد الرحمن باشا اليوسف كممثّلين لبلديهما، إلى تأسيس حزب يسمى حزب الإصلاح بهدف الحصول على السلطة الأولى في شؤون بلديهما، وذلك كمنافسة مؤتمر باريس وللتقرب من الدولة العثمانية، بهدف تأمين مصالحها على حساب المصلحة العامة، انضم إليهما شكيب أرسلان وحسن الأسير وأسعد الشقيري والشريف حيدر وعبد العزيز جاويش من أعضاء الحزب الوطني المصري الّذي

---

(1) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908–1914م)، المرجع السابق، ص416.

(2) نفسه، ص ص416–417.

(3) شكيب أرسلان، سيرة ذاتية، ط1، الدار التقدمية، لبنان، 2008، ص ص108–109.

كان يعارض الإنكليز، وعبد العزيز الثعالبي من الوطنيين التونسيين، وبذلك، يتم تأكيد دعاية القائلين من الأتراك بأنّ مؤتمر باريس يعمل بتوجيهات من الدول الأوروبية[1].

وفيما يتعلق بالتوجهات السياسية والفكرية في المؤتمر، يشير توفيق السويدي إلى وجود ثلاثة قوى رئيسية في هذا السياق، يذكر أنّ المؤتمر العربي الأول الّذي عقد في باريس 1913م كان مجالا لتلك القوى الثلاث وهي:

- **الأولى:** الشباب العربي المسلم الّذي انخرط في تحقيق حركة قومية يهدفون من خلالها إلى تعزيز دور العرب في الدولة العثمانية وضمان حقوقهم والمساواة مع الأتراك، ويظهرون أنّهم طلاب حقوق وإصلاح وليسوا انفصاليين أو غيرها، فهم ليسوا حاقدين على الأتراك وإنّما مستائين، الأمر الّذي جعل القوى الثانية غير مطمئنة لهم[2].

- **الثانية:** في البداية يتضح أنّ العرب المسيحيين أشخاص يحقدون على الأتراك وذلك بسبب التعامل العنيف والاضطهاد الّذي تعرضوا له، بالإضافة إلى ابتعادهم عن الثقافة التركية الإسلامية فيما يتعلق باللغة والدين والتقاليد، في المقابل وجو اتصالات وثيقة بالأجانب خاصة فرنسا[3].

- **أمّا القوى الثالثة:** وصفت هذه القوة بواسطة المذبذبين بأنّها تتذبذب بين كونها عربية في أصلها ومادية في طبيعتها، وعندما تواجه خيارا بين العرب والترك، فإنّها تجد صعوبة في اتخاذ القرار بشأن ما يجب القيام به، وخاصة إذا تأثرت بالطموحات والوعود الجذابة الّتي يقدمها لها الأتراك[4].

عند الانتقال من التصنيف الثلاثي للقوى الّتي تم تطويرها في المؤتمر إلى الأفكار الّتي تم طرحها في هذا السياق، يمكن أن نلاحظ أنّ الكلمات الّتي تم إلقاؤها في المؤتمر قد عكست بوضوح المضامين المتعلقة بالاتجاهات المختلفة الموجودة في المجال، يمكننا

[1] أحمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربيّة الكبرى، المرجع السابق، ص19.

[2] توفيق السويدي، مذكراتي نصف قرن من تاريخ بالعراق والقضية العربيّة، منبر الحرية، د م، د ت، ص26.

[3] نفسه، ص27.

[4] نفسه، ص ص26-27.

استخلاص بعض الفقرات كنماذج لتلك المواقف والأفكار الّتي تم التعبير عنها في المؤتمر بالإضافة إلى بعض الخلفيات الثقافية والسياسية المرتبطة بها[1].

ومن أجل توضيح دور المسيحيين العرب في هذا المؤتمر، يجب علينا الإشارة إلى أهم الأفكار الّتي تضمنتها كلماتهم الّتي ألقوها في سياق أعمال المؤتمر، يمكن الإشارة إلى النقاط الأساسية التالية:

1- التمسك بالرابطة العثمانية:

أكد المسيحيون العرب في المؤتمر على ضرورة الالتزام بالوحدة العثمانية، حيث لا يرغب العرب في الانفصال عن الدولة العثمانية، بل يرغبون في المشاركة في إدارة الدولة، تم التأكيد على ذلك في عدة خطب خلال المؤتمر، حيث أكد إسكندر عمون في كلمته أنّ الأتراك قد أخطأوا عندما اعتقدوا أنّ الهدف من النهضة العربيّة هو الانفصال عن الدولة العثمانية، فالأمر ليس كذلك، حيث لا ترغب الأمة العربيّة سوى في استبدال الحكم الفاسد الّذي يؤدي إلى تدمير الدولة، بحكم يحقق الوحدة والنجاح للجميع، ويستند إلى مبدأ اللامركزية، حيث يتم إدارة الشؤون الداخلية لكل عنصر في الهياكل العليا للحكم، ويكون للأمة العثمانية سلطة عليا تمثلها بنسبة صحيحة في إدارة الشؤون العامة، ويكون الهدف العام للعرب هو الإصلاح الّذي يعزز التقدم ويدفع البلاد للأمام، بتأكيده، يشير إلى أنّ هذا الانتماء لن يتعارض مع المصالح الذاتية للعرب، وهاما تجلى بوضوح في تصريحه: «إن رفضت الدولة العثمانية مطالبنا فالعرب معذورون إذ هم ترددوا قبل أن يلقوا بأنفسهم معا في الهوة»[2]، أكد هذا الولاء والانتماء للدولة العثمانية، وبنفس المفهوم أعرب نجيب دياب في خطابه عن هذه الفكرة إذ قال: «الإبقاء على الولاء للدولة العثمانية وحفظ حقوق العرب والمسيحيين مع البقاء في حضن الدولة العثمانية بشرط تحفظ حقوق

---

[1] وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر السابق، ص181.

[2] المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص103.

العرب من مسيحيين ومسلمين، وأن تكون أعراضهم مصونة، وأموالهم في أمان، وتجارتهم مزدهرة، وصحافتهم حرة، ومدارسهم تنشد بالوطنية السورية، وأفئدتهم تلتهب بحب الوطن»[1].

يأتي ندرة مطران مؤكدا بمثابة تأكيد وضح لأهمية الحفاظ على العلاقة مع الأتراك، حيث يعبر عن طموحات استقلالية تحددها ضمن إطار سوريا على الرغم من وجود نبرة ولاء واضحة للدولة العثمانية، دون أن يظهر رغبة واضحة في الانفصال عن الأتراك[2]، أمّا شكري غانم، فقد أكد ولاءه للدولة العثمانية من خلال تصريحه في المؤتمر قائلا: «إذن فليكفوا عن القول لنا ولكم: أنتم يا مسلمي سورية إخوتنا في اللّغة والجنسية والوطنية وإخوان الترك في المذهب»[3].

2- وحدة المسلمين والمسيحيين في إطار قومي أو وطني:

في هذا السياق أكد ندرة بشدة في خطبته «حفظ الحياة الوطنية في البلاد العربيّة العثمانية» على أهمية التكاتف والتعاون بين المسلمين العرب والمسيحيين، واتفاقهم على الاستمرار في الارتباط بالدولة العثمانية[4].

وبهذا الشكل استمر الولاء بين المسلمين والمسيحيين من عهد عمر بن الخطاب حتى نهاية الحروب الصليبية الّتي أثرت سلبا على صورة المسيحيين لدى بعض المسلمين، وعلى الرغم من هذا الحدث الطارئ، لا تذكر كتب التاريخ أي علاقات متوترة بين الديانتين باستثناء الحدثة المشرومة عام 1860م الّتي حدثت بأمر من الأتراك، فما لم يفعله العرب في ألف ومائتي سنة فعلته الحكومة عشرين مرة في أقل من نصف جيل، ويكمل

---

(1) المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص ص68-69.

(2) وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر السابق، ص182.

(3) المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر سابق، ص142.

(4) نفسه، ص142.

مطران قائلا: «بعد الّذي عايناه فلسنا بحاجة إلى برهان على التضامن الشديد والعصبية المحكمة بين المسلمين والمسيحيين على اختلاف مذاهبهم»[1].

يؤكد نجيب دياب أنّ السوري العثماني، عندما يتمتع بالعدل والمساواة دون تمييز بين المذاهب والأديان، يعود إلى وطنه مشتاقا ومصمما على جعلها جنة يتمتع بها المؤمنون باسم الوطنية، ويعمل الأفراد الّذين يشكلون كيان هذه الأمة الناجحة بشرف، يجب علينا أن نبني أمة حية نرى فيها المسلم يتعاون مع المسيحي والمسيحي يحافظ على ولاء المسلم، والصحافة تعمل على محاربة الجهل والتعصب، ونرى الحكومة عادلة تخدم الشعب وتكون من الشعب وللشعب، والشعب يعمل من أجل وطنه[2].

3- تأكيد أنّ العرب أمة متميزة لها حقوقها:

أكد المؤرخ ندرة مطران أنّ سورية، بعد الفتح الإسلامي، تحولت إلى دولة عربية بامتياز فيما يتعلق بلغتها وتقاليدها وأخلاقها، وذلك بفضل قدرة العرب على جذب الأمم الأخرى إليها، قامت الرابطة الدينية، الّتي تعتمد على دعم الإسلام ورفع راية الخلافة العربيّة، بتجميع العرب مع السلاجقة والأيوبيين والعثمانيين، وقد كانت هي السبب في تسليم العرب لهؤلاء الحكام برضا وقناعة، وظلوا يحتفظون بحرية التعبير واستقلالية العمل، دون أن يشعروا بسلطة الحكام العثمانيين الرمزية.

وكانت علاقتهم مع رؤساء العشائر، الّذين كانوا يرتبطون بالولاة ويتولون جمع الضرائب، تستند إلى لغتهم وعاداتهم وتجارتهم وكلّ ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والوطنية النقية، وكانت سوريا مع مقاطعاتها المختلفة، تحكم بواسطة أسرة عربية، ودمشق كانت

---

(1) وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر السابق، ص181-183؛ المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص ص58-59.

(2) نفسه، ص73.

مركزا للنبلاء الّذين استمروا في توريث اللّغة والأخلاق والعادات العربيّة، وكان لهم السيادة والكلمة الفاعلة في سوريا[1].

4- الإصلاح عن طريق اللامركزية:

أوضح الخطباء العرب المسيحيون ضرورة التمسك بالإصلاح على أساس مبدأ اللامركزية، ويجب الإشارة إلى كلمة إسكندر عمون، ممثل الاتحاد اللبناني في القاهرة، حيث تحدث عن فوائد اللامركزية في إطار العناصر المتعددة للإمبراطورية العثمانية، فاللامركزية تفرضها حقيقة تعدد الأديان والأعراق واللغات، والتمسك بالوحدة الإدارية فقط يؤدي إلى القتل[2].

التأخر الّذي نعاني منه يعود إلى نظام الإدارة العامة، وهو عبارة عن حكم يستند إلى قاعدة الحكم المركزي، المركزية الّتي تقتصر على عدد قليل من الأفراد وتبعده عن التبعية لأجل أن يقرر إسكندر عمون بصوت حاكم أنّ حاجتنا كعثمانيين إلى اللامركزية أكبر من حاجة أي أمة أخرى إليها، ويبرز ذلك بأنّ أمتنا مكونة من عناصر متنوعة في أصولها ولغاتها وتاريخها وأخلاقها وحاجاتها وعادتها، وكلّ فريق منها يعرف أفضل حاجاته الخاصة من غيره، لذا لا يمكن إدارتها بيد واحدة ولا يمكن تطبيق قانون واحد على حاجتها[3].

أشار إسكندر عمون في نقده إلى مفهوم المركزية في الحكم، حيث يرى أنّ المركزية لا تتوافق مع الحكم الدستوري، يعتبر هذا النوع من الحكم يتطلب أن تكون الأمة هي صاحبة الأمر والنهي في شؤونها، وأن الهيئة الحاكمة هي وكيلة عن الأمة في إدارة تلك الشؤون، وبالتالي، فإنّ المركزية في نظر عمون لا تعني سوى الاستبداد بحجة اختلاف

---

(1) المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص ص55-57.

(2) وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر السابق، ص ص183-184.

(3) المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص100.

الحاجات، ونظرا لأنّ الحكم الدستوري يتطلب مشاركة جميع أبناء الأمة في كلّ حق وواجب، فإنّ لمشاركة مع هذا التباين غير ممكنة على أساس مبدأ المركزية[1].

وفي الواقع، كان إسكندر عمون يعبر عن أفكاره عن وجهة نظر حزب اللامركزية الإدارية، الّذي كان عضوا رئيسيا فيه بشكل أكبر ممّا كان يعبر عن وجهة نظر الاتحاد اللبناني، الّذي كان يمثل في غالبية أعضائه توجها لبنانيا يركز على الدفاع عن امتيازات الجيل والعمل على توسيعها[2].

يتشارك نعوم مكرزل، مندوب جمعية النهضة اللبنانية في وجهة نظر واحدة مع نجيب دياب، حيث أكد على ضرورة اعتماد نظام حكم اللامركزية الحرة المتساوية والمنصفة، حيث قال نعوم مكرزل في كلمته: «وفي المهاجرين ومؤازرتهم للنهضة العربيّة الإصلاحية»[3].

5- رفض ومقاومة كلّ تدخل أجنبي:

أشار بعض المتحدثين من المفكرين العرب المسيحيين إلى الاتهامات الّتي وجهها أتباع الحكومة إلى رجال الإصلاح العربي بأنّهم يعملون لصالح الأجانب في البلاد العربيّة، وأكدوا أنّهم يعملون فقط لصالح العرب ويعارضون ويقاومون أي تدخل أجنبي، يمكن الإشارة هنا إلى خطبة ندرة مطران الّذي أكد هذه الحقيقة، حيث يفتخر بأنّ الأمة العربيّة المسلمين والمسيحيين متضامنين ومترابطين في مصالحها، وتسعى إلى تحقيق إصلاحات مشروعة وترفض أي حركة تسمح للأجانب بالتدخل في شؤونها أو تفكيك العلاقة بينها وبين الدولة العثمانية، وتروج لأي هدف غير عربي عثماني في البلاد العربيّة العثمانية[4].

---

(1) المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص ص100-101.

(2) وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر السابق، ص183.

(3) المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص ص61-62.

(4) نفسه، ص62.

في تعليقه على رأي ندرة مطران، أعرب خليل صليبة عن تأييده في وجهة النظر، مؤكدا أنّه لا أحد منا يرغب في أن يعيش في حالة من الذل، بل ترغب جميعا في العيش مع الترك كأمة واحدة متحدة لأنّنا جميعا إخوة وقد تعايشنا معهم وتعايشوا معنا، ونحن نطالبهم بتحسين أوضاعنا وعدم وقوفهم في طريق تقدمنا، حتى إذا كنا قويين، فإنّ قوتنا ستكون قوة للجماعة، وأنا لا أرغب في أن يحكمنا أجنبي يدل على عظمته، ول أقبل أن يتخذ رأسي علما غير علمي، نحن نرغب أن نكون رجالا شجعانا ولا نخاف، ثم تساءل بصوت يحمل مشاعر عميقة من المرارة والاستياء قائلا: «فقد كنا نموت موتا أدبيا، وهذه دماؤنا قد جفت وأصواتنا قد بحت فإلى متى؟ وكيف السبيل؟»[1].

ونظرا لأهمية الموقف الأوروبي، سنتطرق إلى قضية المستشارين الأجانب الّتي أصبحت محور المناقشات حادة داخل وخارج أورقة المؤتمر، ثم تداول هذه القضية بين مطالب الجمعية الإصلاحية كما سبق ذكرها، وعادت إلى الواجهة للبحث والمناقشة، بناءً على طلب بعض الأعضاء الّذين يعتقدون أنّه لا يمكن تحقيق إصلاح حقيقي دون الاستعانة بمستشارين أوروبيين، بينما عارض بعض الأعضاء هذا الطلب، حيث كانوا يخشون أن يؤدي ذلك إلى تدخل الأجانب في شؤون البلاد الداخلية[2]، وأعرب شارل دباس عن رأيه المؤيد لجلب المستشارين الأجانب لتقويم المساعدة في إدارة الشؤون الداخلية للبلاد، وذلك في تعليقه على خطاب إسكندر عمون: «أنا من اللامركزيين وأعتقد كما تعتقد أمتي أنّه لم تبقى لبلادنا حياة إلا بإدارتها على الطريقة اللامركزية، ومع ذلك أرانا ناجحين بأي طريقة من طرق الإدارة إلا إذا استعنا في تنفيذها بمعارف الاختصاصيين من الأجانب يكونون مستشارين لنا، وهذا أمر لا يخشى منه على جامعتنا

---

(1) المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص65.

(2) أبو خلدون ساطع الحصري، حول القومية العربيّة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، 1961، ص ص143-144.

السورية، فلا إصلاح إلا بالمستشارين الأجانب»، ولقد أيد هذا الرأي كلّ من سليم سلم وأحمد طيارة وإسكندر عمون[1].

يتم حل المشكلة في النظام اللامركزي من خلال منح الحرية لكل ولاية لاتخاذ قراراتها بشأن شؤونها بناءً على إرادتها الذاتية، وإذا قررت الولاية الاستعانة بالأجانب، فإنّ ذلك لا ينافي مبادئ اللامركزية وغايتها[2].

كانت قضية المستشارين الأجانب من بين الحجج الرئيسية الّتي استخدمها المعارضون للمؤتمر للادعاء بأنّ المؤتمر كان نتيجة مؤامرات أجنبية، وأن أعضاء المؤتمر إما خونة مأجورين أو ضحايا مخدوعين، ولا شك أنّ مجموعة من المتدخلين الفرنسيين كانوا يحاولون بشكل مستمر أن يلعبوا دورا بارزا في المؤتمر لصالح فرنسا، ولا شك أيضا أنّ فرنسا كانت تعلق آمالا كبيرة على المؤتمر، بناءً على جهود هؤلاء المتدخلين الفرنسيين، ومع ذلك، فلنه من المؤكد أنّ المفكرين المخلصين الّذين تولوا قيادة المؤتمر عملوا بحذر وذكاء ونجحوا في تعطيل خطط المتدخلين الفرنسيين، حيث تجلى تجسيد بالوحدة بين المسلمين والمسيحيين في المؤتمر وصدرت التصريحات كنبذ التدخلات الأجنبية، وهذه كانت ضربة قوية لآمال فرنسا[3].

يبدو من التصريحات والمناقشات الدائرة في سياق المؤتمر أنّ هناك تباينا في آراء الحاضرين وخاصة بالنسبة إلى الموقف من أوروبا، فمع الإعجاب الشديد بعلم أوروبا وتقدمها وبأنظمة الحكم فيها، كان هناك من يشكك في موقف الدول الأوروبية ويحذر من أطماعها، ويرى بحث الموضوع بطريقة حذرة، بينما خالفهم آخرون هذه النظرة وظلوا يأملون في العون من أوروبا خاصة فرنسا، ولم يحل النقاش من تشكيك بخصوص طلب المستشارين الأوروبيين في الإدارة، وهذا موقف ناشئ عن تباين المؤتمرين، حتى تم

---

(1) المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص ص104-106.

(2) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914م)، المرجع السابق، ص ص430-431.

(3) أبو خلدون ساطع الحصري، حول القومية العربيّة، المصد السابق، ص145.

استبعاد الموضوع عن المناقشة في المؤتمر، ويلاحظ أنّ المشاركين المتباينين قوميين وإقليميين يجمعهم الدعوة إلى اللامركزية والإصلاح، وإن اختلفوا في الحقيقة، بين من يريد ذلك في إطار عثماني ومن لا يرى ذلك[1].

في الاجتماع النهائي الرابع للمؤتمر العربي، تم اتخاذ القرارات التالية الأخيرة الّتي تمت قراءتها بواسطة عبد الغني العريسي:

- إنّ الإصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية في المملكة العثمانية، فيجب أن تنفذ بوجه السرعة.
- من المهم أن يكون مضمونا للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك بأن يشتركوا في الإدارة المركزية للمملكة اشتراكا فعليا.
- أن تنشا في كلّ ولاية عربية إدارة مركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها.
- كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة صودق عليها في 31 كانون الثاني/ يناير 1913م بإجماع الآراء، وهي قائمة على مبدأين أساسين هما: توسع بسلطة المجلس العمومية، وتعيين مستشارين أجانب، فالمؤتمر يطالب بتطبيق وتنفيذ هذين المطلبين.
- أن تكون اللّغة العربيّة لغة رسمية في الولايات العربيّة.
- أن تكون الخدمة العسكرية في الولايات العربيّة.
- أن تكفل الحكومة العثمانية لمتصرفية لبنان وسائل تحيين ماليتها.
- يصادق المؤتمر على مطالب الأرمن العثمانيين القائمة على اللامركزية.
- أن تبلغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية وتبلغ إلى الحكومات المتحابة، ويشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية لترحابها بضيوفها[2].

---

(1) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص245.

(2) المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق، ص ص113-114؛ وعضو جمعية عربية سرية، الثورة العربية الكبرى، 1916م، ص35.

وتم إلحاق ثلاثة قرارات أخرى كانت قيد المناقشة ووافق عليها المؤتمر وهي:

- إذا لم تنفذ القرارات الّتي صادق عليها المؤتمر، فالأعضاء المنتمون إلى لجان الإصلاح بالعربية يمتنعون عن قبول أي منصب في الحكومة العثمانية.
- ستكون هذه القرارات برنامجا سياسيا للعرب العثمانيين، ولا يمكن مساعدة أي مرشح في الانتخابات التشريعية إلا إذا تعهد بتأييد هذا البرنامج.
- المؤتمر يشكر مهاجري العرب على وطنيتهم في مؤازرتهم له ويرسل لهم تحيته بواسطة مندوبيهم(1).

المطلب الثاني: موقف الدولة العثمانية من المؤتمر وقراراته

فشلت جمعية الاتحاد والترقي في منع عقد هذا المؤتمر، وبالتالي قامت بإرسال أمينها العام وسكرتير جمعية الاتحاد والترقي مدحت شكري للتفاوض مع أعضاء المؤتمر بشأن مطالب الإصلاح في الدول العربية، وفي منتصف تموز/ يوليو، أعلنت الحكومة التركية أنّها توصلت إلى اتفاق مع الدول العربيّة بناءً على أحد عشر بندا يمنح الدول العربيّة جميع المطالب الّتي قدموها، وأهم ما وردب في هذا الاتفاق هو:

- التعليم في جميع بالولايات العربيّة يكون باللسان العربي في القسم الابتدائي والإعدادي ويكون بلسان الأكثرية في القسم العالي، ويمكن تعليم اللّغة التركية إجباريا في المدارس الإعدادية.
- يشترط أن يكون جميع رؤساء المأمورين، ما عدا الولاة، عرفين باللغة العربية(2).
- إنّ العقارات والمؤسسات الوقفية المشروط صرفها إلى الجهات الخيرية المحلية ستترك إلى مجالس الجماعات المحلية، على أن تدار من قبلها وفق شروطها الخاصة.
- الأمور النافعة ستترك إلى الإدارة المحلية.

---

(1)المؤتمر العربي الأول للجنة العليا لحزب اللامركزية، المصدر السابق؛ ص ص119–120، وعضوية جمعية عربية سرية، المرجع السابق، ص35.

(2) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص ص101–102؛ أحمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربيّة الكبرة، المصدر السابق، ص ص19–20.

- العسكر يخدمون في البلاد العربيّة منهم، لكن العسكر الّذين يلزم إرساله إلى اليمن أو الحجاز أو عسير يرسل ضمن نسبة عادلة من جميع المملكة العثمانية.

- إنّ المقررات الّتي تتخذها مجالس المديريات العامة ضمن صلاحياتها القانونية ستكون نافذة على كلّ حال.

- يقبل مبدئيا أن يكون في هيئة الوزارة على الأقل من أولاد العرب، ومن ذلك يؤخذ منهم عدد بصفة مستشار أو معاون في النظارات، وسيعتبر من الأسس المقررة أن يكون في كلّ من لجان المأمورين وشورى الدولة ومجلس المشيخة الإسلامية ومجالس سائر الدوائر المركزية اثنان أو ثلاثة من العرب، كما يكون في كلّ وزارة أربعة أو خمسة موظفين من درجات مختلفة أيضا من العرب[1].

- يعين خمسة ولاة على الأقل من أبناء العرب، وعشرة متصرفين، وسيكون تعيين الموظفين وترفيعهم وتأديبهم وفق قانون خاص.

- سيعين في مجلس الأعيان من العرب نسبة اثنين عن كلّ ولاية عربية.

- يستخدم مفتشون اختصاصيون من الأجانب في الدوائر المقتضية في كلّ ولاية، وستقرر صلاحيات هؤلاء المفتشين واجباتهم بنظام خاص يكفل الحصول على الفوائد الانضباطية والإصلاحية المطلوبة.

- سيسد النقص الموجود حاليا في ميزانيات الدوائر الّتي تركت إدارتها إلى الولايات عن طريق إضافة الموارد بالكافية لميزانية الولاية، وسيخصص نصف حصيلة ضريبة المسقفان إلى الإدارات المحلية على أن تصرف لأمور المعارف[2].

---

(1) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص102؛ أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص39.

(2) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص ص37-38.

ظهرت مؤشرات للتقارب والترك في أعقاب هذا الاتفاق، حيث تبادلوا الزيارات وعبروا عن سرورهم بإزالة سوء التفاهم بين الجانبين، قام المؤتمر العربي في باريس بإرسال ثلاثة من أعضائه إلى إسطنبول، وهم: سليم علي سلام، وأحمد طبارة، وأحمد مختار بيهم، حيث استقبلهم السلطان محمد رشاد وشكر له الوغد على استقبالهم وأبدوا له محبة العرب وإخلاصهم للعرض، وعاهد السلطان الوفد بأنّه سيبذل جهوده لتحسين الأوضاع في الولايات العربيّة، وفي لقاء آخر مع جمعية الاتحاد والترقي، أكدوا على ضرورة تعزيز روابط الأخوة، بين العرب والترك وتحقيق الوعود بالإصلاح الّتي قطعها الأتراك على أنفسهم[1].

أعلنت الحكومة الاتحادية نيتها تنفيذ الإصلاحات المطلوبة، وبناءً على ذلك أصدرت مرسوما سلطانيا في 3 آب/أغسطس 1913م، هذ نصه: «إنّه بالنظر إلى الضروريات، واختلاف الأمزجة في الولايات العثمانية، وإلى وجوب ترقية البلاد، وإسعاد لأهلها، وزيادة وفاهيتهم، تقرر الآتي:

- يعهد في إدارة الأوقاف الموقوفة لعمل الخير والمشروط صرف ربعها على الجهات الخيرية، إلى مجالس الجماعات في الولايات.
- يؤدي الجنود خدمتهم العسكرية زمن السلم في الدائرة التابعين لها، ويكون التدريس باللغة العربيّة في جميع الولايات الّتي تتكلم أكثرية سكانها هذه اللغة، وذلك لتوفير أسباب الرقي والحضارة، مع جعل تعليم اللّغة التركية إجباريا، ويجب أن يتقن الموظفون للبلاد العربيّة لغتها عدا اللّغة التركية»[2].

(1) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص ص102-103.

(2) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص39.

وألحق ذلك المرسوم بمرسوم آخر تقرر فيه ضم جزء من الإرادات العامة إلى ميزانية كلّ ولاية لسد العجز الّذي ينشأ عن عدم قدرة ميزانيتها على تنفيذ الواجبات الملقاة عليها[1].

وعلى وجه الخصوص في مجالات الأعمال العامة والمعرفة، أبدى بعض الأشخاص العرب المتواجدين في الاستانة رضاهم تجاه هذه القرارات بسبب وجودها لبعض الغموض والإبهام، واعتبروها خطوة نحو التحسين المطلوب[2].

وفي 05 آب/ أغسطس 1913م، قدم وفد من أبناء العرب إلى الباب العالي ليعبر عن شكرهم للحكومة على وعودها وللمطالبة بتسريع تنفيذ ما وعدت به، وفي مساء ذلك اليوم، التقى الوفد بزعماء الحكومة التركية وهم: طلعت بك، وجمال باشا، وأنور باشا، وكان في الوفد العربي مكونا من: عبد الكريم الخليل، وسليمان البستاني، والشريف جعفر، والشريف حيدر، وغيرهم، وعبر الوفد عن سروره بإزالة سوء التفاهم بين العرب والترك وطلب مساعدة الحضور من أركان الوزارة وجمعية الاتحاد والترقي لتسريع تنفيذ قرار الإصلاح، وكانت خلاصة الخطابات الّتي ألقاها الوفد العربي تدور حول ضرورة إزالة سوء التفاهم بين العرب والترك، وافتتح وزير الزراعة والمعارف، سليمان البستاني، خطابه بالقول: «وإذا تآلفت القلوب على الهوى، فالناس تضرب في حديد بارد[3].

وفي أوائل شهر أيلول/ سبتمبر ويعد الانتهاء من المشاركة في اجتماع الاستانة، غادر الوفد عائدا إلى بيروت، وفي هذا السياق، تم بث بيان عبر الجمعيات العربيّة العاملة في سوريا ومصر، وكانت أبرز محتوياته: «إنّ الاتحاديون جادون في تنفيذ الإصلاح في الولايات العربية، وإننا لراضون بذلك، ونبلغكم بهذا لاتخاذ التدابير اللازمة الفعالة

---

(1) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، ص ص39–40؛ محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المصدر السابق، ص446.

(2) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص ص40–41.

(3) نفسه، ص ص41–42.

للوصول إلى غايتنا الشريفة (...) فإن لم يبروا بها في أقرب آن كانوا هم وحدهم المسؤولين عن تفاقم الأمور وسوء العاقبة»[1].

ثم قامت الحكومة الاتحادية بالتوجه نحو الشباب العرب والعمل على إقناعهم بحسن نوايا الاتحاديين، حيث زاد تكرار زيارة قادة الاتحاديين مثل أنور وطلعت وجمال باشا للمنتدى الأدبي، حيث تبادلوا الخطب الحماسية، ومن بين ما قاله طلعت في هذا السياق: «وإذا فر العرب منا فإننا نتمسك بهم نلزمهم ونضمهم إلى صدورنا ونصافحهم مصافحة الأخ لأخيه»[2].

وفي صباح الأحد 04 كانون/ يناير 1914م، صدرت الإدارة بتعيين عبد الحميد الزهراوي، وعبد الرحمن اليوسف، ومحمد بيهم، ويوسف سرقس، ومحي الدين النقيب، وأحمد الكنيا، أعضاء في مجلس الشيوخ العثماني، وقد أثار هذا الخبر صدمة في البلاد العربية، وعندما رأوا قبول الزهراوي لهذا المنصب، اعتبروه أكبر ضربة للإصلاح الّذي لم يحقق منه أي شيء، واستدعيت الشبيبة في حزب اللامركزية والمنتدى الأدبي عبد الكريم الخليل للاستفسار عن رضاهم بقبول الزهراوي لهذا المنصب، وتشكلت لجنة من نجيب شقير، وسيف الدين الخطيب، وجلال البخاري، وصبحي حيدر، وأسعد داغر للاجتماع بهم وأبلغوهم أنّ قبول الزهراوي للمنصب هو خير من رفضه، لأنّه سيتمكن من القيام بأعمال في المجلس لا يستطيع القيام بها في الخارج، ولأن الأجانب يستغلون الفرصة لإثارة النعرات بين العرب والترك من أجل تحقيق طموحاتهم في بلادنا، وعلى الرغم من عدم اتفاقنا الكامل مع وجهة نظره، إلا أننا وافقنا على رأيه[3].

وفي نفس السياق، قامت السلطة العثمانية بتعيين السادة: شكري العسلي، وعبد الوهاب الإنكليزي، وناجي السويدي، وأمين التميمي في مناصب عالية المستوى، وأسست

(1) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص44.

(2) عضو جمعية عربية سرية، ثورة العرب الكبرى، 1916م، كتائب الرائد العربي، دمشق، 1916م، ص47.

(3) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص ص45-46.

مدارس ثانوية عربية في مدينتي دمشق وبيروت، وبفضل هذه الإجراءات، أصبح بإمكان المواطنين العرب في البلاد العربيّة أن يتمتعوا بحق سماع المرافعات باللغة العربيّة وأن يخم المجندون في مناطقهم لفترة خدمتهم الإجبارية العسكرية[1]، وعلى الرغم من تحقيق هذه المكاسب السريعة، تعتبر ثانوية بالنظر إلى مطالب العرب الكبرى، ولذلك قامت الجمعية العربيّة الفتاة، بواسطة سيف الدين الخطيب ورفيق رزق سلوم بإبلاغ الزهراوي بعدم قبولها لتلك الحلول، واتصلوا بعبد الكريم الخليل، صلة الوصل بين الاتحاديين وأعضاء المؤتمر، وأبلغوه عدم قبول العرب للحلول التركية[2].

وعندما اعتقد الاتحاديون أنهم نجحوا في تفريق الجمعيات الإصلاحية من خلال إرضاء بعض أفرادها وإخماد الحركة في البلاد العربية، قاموا بتغيير خطتهم والتمسك ببعض الزعماء العرب، ولكن ليس لمساعدتهم بل لإعدامهم[3]، تم اعتقال عزيز علي المصري عام 1914م ومحاكمته، وذلك لقتل الفكرة العربيّة بقتل القائمين عليها[4]، وتم إلغاء اتفاقها مع العرب بمنحهم سبعين نائبا في مجلس المبعوثان، وإذا تم تعيينهم لن يتجاوز عددهم الخمسين نائبا، وتم وضع الإصلاحيين العرب تحت المراقبة وتجاوزت في احتقارهم كثيرا، وأعلنت علانية أنّ الولايات العربية لا تحتاج إلى أي إصلاح واتهمت هؤلاء الأفراد بعدم وجود أي وطنية لديهم وأن هدفهم النهائي هو تسليم البلاد للأجانب وتدمير الدولة والإسلام والمسلمين[5].

تبين للوفد المشارك في المؤتمر أنّ جمعية الاتحاد والترقي لا تعتزم تنفيذ بالإصلاح المتفق عليه، وذلك خاصة بعد أن قررت الحكومة جعل تعليم اللّغة التركية إلزاميا في

---

(1) أحمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص20.

(2) نفسه، ص21.

(3) عضو جمعية عربية سرية، ثورة العرب الكبرى 1916م، ص47.

(4) دار الكشاف، لبنان، بيروت، 1950م، ص25.

(5) عضو جمعية عربية سرية، ثورة العرب الكبرى 1916م، ص ص50-51؛ محمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج2، المصدر السابق، ص23.

الدول العربية، بما في ذلك المدارس الدينية والمدارس الثانوية، وقد تم تعيين بكر سامي، المعروف بحزمه وقسوته، كوالي لبيروت، وقامت منذ 1914 بتنفيذ برنامج جديد يستند إلى:

- إقصاء العرب عن الاستانة والبلاد العربيّة إلى الولايات التركية.
- الإسراع في تطبيق سياسة التتريك.
- قتل الحركة الإصلاحية وحل الأحزاب العربيّة[1].

---

[1] محمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج2، المصدر السابق، ص23.

المبحث الثاني: دور المسيحيين العرب في الثورة العربيّة الكبرى 10 يونيو/ جوان 1916م

كان الوطن العربي في بداية القرن العشرين، يعاني في حالة قلق واضطراب بسبب تهديد الاستعمار الّذي كان يسعى للاستيلاء على أراضيه، كما كانت الدولة العثمانية تتراجع وتفقد قوتها، في حين كانت فكرة الاستقلال العربي وتأسيس دولة عربية تنتشر وتحظى بتأييد متزايدين بين الشباب العرب[1]، وفي الحقيقة فإنّ الاتفاقية الّتي عقدت بين هيئة الاتحاد والترقي وهيئة الشبيبة العربية، قد تم اتخاذ قرارات إصلاحية هامة تستند إلى المبادئ الأساسية التالية:

- جعل العربيّة لغة التعليم في مدارس الولايات العربيّة.
- إصلاح نظام الولايات العربيّة وفق ما يقتضيه نظام اللامركزية.
- إشراك العرب في حكم المملكة إشراكا فعليا بتخصيص عدد من المناصب لهم في الدوائر المركزية القائمة في العاصمة.

ومع ذلك، تم تنفيذ أحكام الاتفاقية ببطء شديد، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، كانت نسبة التنفيذ والتطبيق لا تزال ضئيلة، ويرجع السبب في ذلك إلى اختلاف الساسة الأتراك أنفسهم في هذه القضايا وعدم اطمئنان الكثيرين منهم إلى نظام اللامركزية[2].

إذ لم يكن قادة جمعية الاتحاد والترقي وأتباعهم ودعاة الطوارنية يتعاطفون مع الحركة العربيّة الجديدة، بل كانوا يخشون نتائجها ويرى فيها خطرا على الدولة التركية، فيجب التسريع في مناقشتها قبل أن تتفاقم وتشكل خطرا أكبر، ومع ذلك لم يكونوا متفقين على هذا الرأي، فقد كان هناك من يميل إلى تنفيذ الإصلاح دون النظر إلى أشخاص يطالبون به، نظرا لحاجة البلاد الملحة إليه، وكان هناك من يروج لاسترضاء العرب

---

[1] عنبرة سلام الخالدي، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، المصدر السابق، ص87.

[2] أبو خلدون ساطع الحصري، الأعمال القومية لساطع الحصري، ق1، ج5، مركز دراسات الوحدة العربية، يلبنان، بيروت، 1985م، ص151.

واستدراجهم حتى لا يتمادوا على الدولة أو ينفروا منها، أمّا فريق الغلاة والمتطرفين، فكان يتبع سياسة القمع والاضطهاد ويدعو إلى مقاومة الحركة الجديدة والقضاء عليها، وبالتالي يمكن القول أنّهم انقسموا في معالجة القضية إلى ثلاثة فرق:

- فريق يطالب بمنحهم استقلالا داخليا داخل إمبراطورية طورانية للترك، ومنهم أنور باشا والصدر الأعظم سعيد حليم باشا[1].

- فريق الطورانيين الغلاة ويقول بأخذ العرب بالشدة وتتريكهم والتنكيل بزعمائهم ومكرميهم ومنهم جمال باشا وحسين جاهد بك وناظم بك ورئيس مجلس النواب أحمد رضا والمعلم ناجي وطلعت الصغير.

- فريق المعتدلين، وهو أقلية ويقول بالتساهل مع العرب، ومنحهم لا مركزية نوعية تنفذها الحكومة مباشرة، دون أن تستعين برجال الإصلاح وزعيم هؤلاء طلعت باشا[2].

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى، كانت العلاقات بين تركيا والدول العربيّة تمر بمرحلة مليئة بالتردد والترقب[3]، وقد أدى دخول تركيا في الحرب إلى تعرض الحركة العربيّة كمخاطر جديدة، وكان من الطبيعي أن ينشغل العرب بمصير بلدهم في المشرق أمام التهديدات المتوقعة، وقد كانت هذه الخطوة عاملا أساسيا في تعزيز النزعة نحو الاستقلال[4]، لا يلزمنا أن نقول أنّ مشاريع الإصلاح الّتي كانت تتقدم ببطء قبل اندلاع الحرب العالمية توقفت تماما بعد بدء التعبئة العامة وخاصة بعد إعلان الحرب بشكل رسمي، وظلت الأمور في جميع الدول العربيّة على حالها السابقة من التركيز على السلطة المركزية، وعلى الرغم من ذلك استقبل الرأي العام هذه الأوضاع بترحاب في البداية بسبب الحماسة الوطنية[5]، ومن بين الأدلة الّتي توضح موقف العرب من الدولة

---

[1] أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص57.

[2] نفسه، ص ص57-58.

[3] أبو خلدون ساطع الحصري، الاعما القومية لساطع الحصري، ق1، ج5، المصدر السابق، ص151.

[4] عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص256

[5] أبو خلدون ساطع الحصري، الأعمال القومية لساطع الحصري، ق1، ج5، المصدر السابق، ص152.

العثمانية خلال الحرب، يذكر عقد اجتماع سري في منزل شكري الأيوبي في آذار/ مارس 1915م، حيث شارك فيه عبد الرحمن شهبندر وخالد الحكيم وسليم الشمعة والشيخ تاج الدين الحسني وعبد الكريم الخليل وغيرهم من قادة الحركة العربية، وتمت مناقشة الموقف من جميع جوانبه، وفي النهاية، توصلوا إلى اتفاق على ضرورة مساعدة الدولة العثمانية في حربها، وتشكيل مجموعات من المقاتلين من سكان البلاد للدفاع عنها عندما يضطر الأتراك إلى الانسحاب، ومع ذلك كان هذا الموقف المؤيد للدولة العثمانية قبل اكتشاف الاتحاديين نواياهم تجاه العرب[1]، وتمثلت النوايا في تأجيل تنفيذ الإصلاحات والانتقام من قادة الحركة العربيّة الّتي وافقت على هذا الاتفاق بين الاتحاديين والحركة العرية، بهدف إبطال فكرة الإصلاحات من جذورها، ممّا أثار قلق النفوس ودفع الناس إلى الثورة بقوة[2].

كانت إحدى الخطوات الأولى في مناطق مختلفة من الدولة وجبهات الحرب في الدردنيل وجبال القفقاس، وتشكيل الديوان العرفي العسكري في عاليه، ومتابعة رجال العرب وشبابهم الّذين تميزوا في الحركة العربية، وخاصة أولئك الّذين كان لديهم مقالات وطنية أو شاركوا في المؤتمر العربي أو حزب اللامركزية أو العهدة وتهجير عدد كبير من رجال العرب وأسرهم[3].

وكانت إحدى العوامل الّتي ساهمت في تسريع تحديد موقف العرب من الدولة العثمانية هو تولي جمال باشا الحكم في سورية، ففي بداية الحرب العالمية الأولى، كانت الدولة العثمانية تسعى لاستعادة مصر وطرد الإنكليز منها، ولذلك قامت القيادة العليا العثمانية بجميع بالقوات في سورية وتكليف وزير البحرية جمال باشا بقيادة هذه الجبهة،

---

(1) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص111.

(2) محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المصدر السابق، ص42؛ وأبو خلدون ساطع الحصري، حول القومية العربيّة، المصدر السابق، ص152.

(3) محمد عزة دروزة، الحركة العربيّة الحديثة، المصدر السابق، ص42.

ومنحه صلاحيات شبه مطلقة في جميع الشؤون العسكرية والإدارية والمالية في ولاية سورية[1].

في الحقيقة، قام جمال باشا في البداية بتبني سياسة لجذب القلوب وتعزيز التواصل الكلامي والخطابي في الروابط الأخوية الّتي تربط بين الأتراك والعرب[2]، وعندما وصل إلى سورية، بدأ في إقناع الأحرار العرب بحسن نوايا الحكومة العثمانية تجاه الدول العربية، وذلك تم تجسيده في خطابه الأول الّذي ألقاه في دمشق: «أؤكد لكم أنّ الأماني التركية والأماني لا تتعارضان مطلقا، فالترك والعرب ليسوا لوى إخوان في غايتهم الوطنية، وأن هذين الشعبين مقضي عليهم بالفناء في اللحظة الّتي يتخاذلان فيها»[3].

وجند جمال باشا حملة إلى قناة السويس، ولكنه فشل في تحقيق أهدافه، ممّا دفعه بالى اتباع سياسة الإرهاب والقمع في بلاد الشام، بدأ بالقبض على العديد من المثقفين العرب ومحاكمتهم ونفيهم وإعدامهم، وتوسعت نطاق الاعتقالات لتشمل أعضاء الحركة الإصلاحية العربيّة، وأصبح الجميع يعتقدان أنّ هذه الإجراءات هي تصرفات تعسفية تهدف إلى الانتقام والإرهاب[4].

وبالتالي، يمكن القول بأنّ حكم جمال باشا في سورية كان له تأثير مباشر في إعلان الثورة العربيّة الكبرى، فقد قانم بعمليات الاعتقال في دمشق وبيروت، ونفذ حكم الإعدام بحث الأحرار العرب، وكان هذا العامل الحاسم الّذي دفع زعماء الحركة العربيّة إلى اتخاذ قرار إعلان الثورة، وبالتالي أصبح الاستقلال السياسي والسيادة القومية العربيّة أمرا

---

[1] أبو خلدون ساطع الحصري، حول القومية العربيّة، المصدر السابق، ص ص152-153.؛ وجورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص278.

[2] أبو خلدون ساطع الحصري، حول القومية العربيّة، المصدر السابق، ص154.

[3] أحمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربيّة الكبرة، المصدر السابق، ص39.

[4] نفسه، ص39؛ أبو خلدون ساطع الحصري، حول القومية العربيّة، المصدر السابق، ص154؛ عضو جمعية عربية سرية، ثورة العرب الكبرى 1916م، ص ص76-77.

حيويا بالنسبة للعرب[1]، كان هناك عدد من مسيحيين العرب الّذين كانوا من بين الشّخصيات البارزة في حركة النضال العربيّة، الّذين قام جمال باشا بإعدامهم.

ولم يميز جمال باشا بين المسلمين والمسيحيين عند تنفيذه سياسة القمع والإرهاب، بل قام بالقبض على جميع الأشخاص الّذين ناضلوا من أجل التخلص من حكمه الاستبدادي وفسد الاتحاد والترقي[2].

وبدأ جمال باشا حملة الإعدامات في سورية بتاريخ 24 أيلول/ سبتمر 1915م، وقام بالقبض على أوّل مجموعة من المناضلين العرب والّتي تتألف من: صالح حيدر، ومسلم عابدين، ومحمد المحمصاني، ومحمود المحمصاني، وعبد القادر الخرسا، ومحمود العجم، وسليم الأحمد، ونور الدين القاضي، وعلي الأزمنازي، وسيق هؤلاء إلى المشانق، ومل يكن لهؤلاء من ذنب إلا الانتساب إلى حزب اللامركزية[3].

وفي عام 1915م، تم إصدار حكم غيابي أيضا على جميع بالأشخاص التالية أسماؤهم من المسيحيين العرب: بشارة البواري، وإسكندر سرسق، وإدوارد كرم، وجبرائيل حداد، وسيموني أبي شنب، وقيصر أبي شنب، وأسعد باسيلا، ونجيب أيوب، وألفريد لبان، وأسعد مفرج، وأنطون أرقش، وسليم بولس، وسعيد مخبير، ويوسف صموئيل[4].

وتذكر بعض الرّوايات التاريخية أنّ جما باشا قام بفحص الوثائق الّتي تم العثور عليها في القنصليتين الفرنسيتين في بيروت ودمشق، وقرر تجاوزها، خاصة أنّ بين المتهمين فيها رجالا مسلمين ذوي مكانة بارزة، وكانت المحاكمة السياسية الوحيدة الّتي سمح بها هي لنخلة باشا مطران، بعد أن ثبتت عليه تهمة السعي للحصول على تأييد

---

(1) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص122؛ أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص107.

(2) حسان حلاق، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، المصدر السابق، ص49.

(3) أحمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص ص42-43؛ جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص ص280-281.

(4) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص68.

القنصل الفرنسي لمؤامرة فهم بعلبك إلى جبل لبنان، وقد حكم عليه بالنفي مدى الحياة، وتم عرضه في شوارع بدمشق، ثم توفي بعد ذلك أثناء طريقه إلى منفاه وليست الدولة بريئة من المساعدة في وفاته[1].

بعد فشل حملة جمال باشا في غزو مصر، تحولت مزاجه إلى السوء وعندما قدمت له وثائق تتضمن اتهام يوسف الحايك، الّذي كان قيس ماروني من جبل لبنان، يتبادل رسائل خيانة مع المسيو ديشانل الّذي كان آنذاك رئيسا للبرلمان الفرنسي، لم يتردد في إصدار حكم الإعدام ونق الحايك أمام الجمهور في مدينة دمشق في عام 1915م[2].

وفي 6 آيار/ مايو1916م، كان حكم الإعدام قد نفذ بالقافلة الثانية، من بين هؤلاء الزعماء: سعيد نقل، وبترو باولي، وجرجي حداد، وعارف الشهابي، وعبد الغني العريسي، وعمر حمد، وأحمد طيارة، ومحمد الشنقيطي، وتوفيق البساط، حيث تم إعدامهم في بيروت، أمّا شفيق المؤيد وعبد الوهاب الإنكليزي، وشكري العسلي، وعبد الحميد الزهراوي، والأمير عمر الجزائري، ورفيق رزق سلوم، أعدموا في دمشق، كانوا مؤلفين من سبعة عشر مسلما وأربعة مسيحيين[3].

في هذا السياق، قام جمال باشا بنشر الوثائق المتعلقة بالقضايا المذكورة، وذلك بهدف دعم قرارات الديوان العرفي وتوثيق الجرائم الّتي ارتكبها المحكوم عليهم، وقد قام بنشر كتاب يحتوي على هذه الوثائق باللغتين العربيّة والتركية، ونظرا للدور الحاسم الّذي لعبه جمال باشا في نشوء الثورة العربية، فأنّه من المناسب تن نقوم بدراسة هذه الوثائق الموجودة في الكتاب بشكل موسع:

«إنّ أهم الوثائق الّتي استند إليها ديوان الحرب العرفي في أحكامه، كانت الأوراق الّتي عثر عليها في دار القنصلية الفرنسية ببيروت، لأنّ القنصل عندما غادر بيروت عقب

---

[1] جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص278.

[2] نفسه، ص ص278-279.

[3] أحمد قدري، مذكرات عن الثورة العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص ص55-56.

إعلان الحرب لم ينقل أو يتلف الأوراق السياسية المحفوظة بالقنصلية، بل تركها هناك، والسلطات العسكرية العثمانية رأت أن تضع يدها على البناية، واستولت على الأوراق، واللجنة عثرت بينها على وثائق سياسية هامة صور المخابرات الّتي جرت بين السفارة الفرنسية في الاستانة، حول سياسة فرنسا في سوريا... بلاغات ورادة من وزارة الخارجية الفرنسية، وتقارير مقدمة إليها... صور المحادثات الّتي جرت في السفارة أو في القنصلية مع بعض الموظفين، وكانت إحدى الوثاق تلخص الحديث الّذي جرى بين السفير الفرنسي وبين شفيق مؤيد، الّذي أدين أعضاء حزب اللامركزية الإدارية بالتآمر على الدولة خدمة لمصالح فرنسا»[1].

توالت التقارير الّتي تناقش النشاط السري للجمعيات العربيّة القومية وتعاونها مع إنكلترا وفرنسا، اللتين كانتا تحرضان العرب على الثورة ضد الدولة العثمانية، ممّا أدى إلى استبعاد الكتائب العربيّة من بلاد الشام واستبدالها بكتائب تركية[2]، بالإضافة إلى ذلك تم تجهيز مئات المدنيين إلى الأناضول، وبدأت المجاعة الّتي أسفرت عن وفاة عدد كبير من الأرواح، وكان جوزيف الهاني الّذي ينتمي إلى طائفة المسيحية في بيروت، أوّل من تم تنفيذ حكم الإعدام عليه في 05 نيسان/ أبريل 1916م، وتم القبض على طائفة أخرى من الشّخصيات البارزة في المجتمع الملم المسيحي بتهمة الخيانة العظمى، واستمرت عملية المحاكمة لعدة أشهر، وتدخل الشريف حسين وابنه فيصل للتوسط وتقديم عقوبة السجن المؤبد، ولكن هذا التوسط لم يكن ذا جوى[3].

أوضح الشريف حسين الأسباب الّتي دفعته إلى إعلان الثورة في منشور والّتي افتتحه بتأكيد الإخلاص والإشراف في مكة للعثمانيين، وذلك بسبب تملك السلاطين بالكتاب والسنة، ثم استولت جمعية الاتحاد والشرقي على الحكم، ممّا أدى إلى انحرافهم

---

[1] أبو خلدون ساطع الحصري، حول القومية العربيّة، المصدر السابق، ص155؛ يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، المصدر السابق، ص ص233-234.

[2] جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص279.

[3] نفسه، ص282.

عن صراط الديني ومنهج الشرع، وتم استنتاج هذا الأمر من خلال تحليل عدد من الأمثلة الأتية توضح فساد تصرفات الاتحاديين في الدولة العثمانية، مثل إسرافهم في الأموال وضياعهم لأراضي السلطنة، بالإضافة إلى محاولتهم المستمرة خداع الشعوب المخضعة لسلطة الدولة العثمانية بالقوة، وتعريض العرب لهذا الاضطهاد وهو ما أدى إلى نشوب العداوة والبغضاء بين العرب والآخرين، وأدى إلى اندلاع حروب لا يمكن للدولة تحملها، ثم استخدموا ذلك كحجة للقضاء على جميع الأشخاص الّذين يختلفون معهم في الرأي بخصوص هذا الأمر، وخاصة العر، ولا يغفل المنشور عن ذكر الظلم الّذي تعرضت له الأمة العربيّة كأمة والإسلام كدين، ولوا الالتزام بالصلاة الّذي كان ملزما على طلاب المدارس العسكرية ومن استحلالهم قتل المسلمين والذميين بغير محاكمة شرعية، واستشهد في منشوره بالأحاديث النبوية الشريفة اتي خضعت على حسن معاملة أهل الكتاب وعدم الاعتداء عليهم، ويوضح المنشور جرائم الاتحاديين كاملة بحق العرب ولغتهم، إذ حاولوا قتل اللّغة العربيّة في جميع الدول العثمانية، وذلك عن طريق منعها في المدارس والمحاكم، وهو قتل الإسلام نفسه، فالإسلام دين عربي بمعنى أنّ الكتاب أنزل باللغة العربية، وجعل متعبدا بتلاوتيه وتدبره وفهمه، لا معنى أنّه خاص بالعرب، فمن المعلوم عن الدين بالضرورة أنّه عام لجميع الأمم[1]، قال الله سبحانه وتعالى في سورة الرعد: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة الرعد، الآية 37].

وذكر المنشور أيضا في إشارة إلى جرائم الاتحاديين في 6 أيار/ مايو 1916م، حين أعدموا مجموعة من الأحرار العرب عرفوا بغيرتهم على الأمة والدولة، وأخيرا يصرح في المنشور أنّه لا يمكن احتمال تصرفات الاتحاديين أكثر من هذا ويقول: «ولا نسكت لهم بعد هذا على شيء من نفيهم على أحد من أبناء جنسنا، إذ لم يعد في السكون مصلحة رابحة ولا لدين ولا لدولة، بل صارت المصلحة الإسلامية والعربيّة هما متلازمتان في

(1) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص ص149-153.

مقاومة الفئة الباغية»، والسعي من أجل الاستقلال والانفصال التام عن الأتراك وعن أي تدخل أجنبي آخر أو تحكم خارجي جاعلة مبدأها وغايتها نصرة لدين الإسلام والسعي لإعلاء شأن المسلمين والمساواة الشرعية في الحقوق بينهم وبين جميع بمن يدخل في حوزة استقلالها من المخالفين[1]، معلنا بذلك المساواة الشرعية في الحقوق بينهم وبين غير المسلمين[2].

المطلب الأول: الدور السياسي

تشابه موقف المسيحيين العرب فيما يتعلق بالثورة العربيّة الكبرى مع موقف المسلمين، وذلك بعود إلى أن الجمعيات العربيّة الّتي ساهمت في تحقيقها كانت تضم في عضويتها المسلمين والمسيحيين على حد سواء، وقد شارك المسلمون والمسيحيون معا في اتخاذ القرارات الّتي صدرت عن تلك الجمعيات، بالإضافة إلى ذلك، شارك المسيحيون العرب في جيش الثورة العربيّة الكبرى[3].

من بين الأسماء الّتي شاركت في الثورة العربيّة الكبرى هم: أمين يزبك، وإميل الخوري، وفريد الخازن، وفؤاد سليم، وحبيب جاماتي، وسعيد عمون من لبنان، ومن القدس نعيم الخوري، وخليل السكاكيني، ومن حوران فائز الغصين، ومن الأطباء المسيحيين العرب الملتحقين بالثورة: نعمان ثابت، وحموي الخوجة، ومرشد خاطر، وأمين معلوف[4]، ويشير إلى أنّه قد وصلت قافلة من الأحرار العرب من دمشق، وكن ممن شارك فيها: أحمد قدري، ورستم حيدر، ورفيق التميمي، وتحسين قدري، وخليل

---

(1) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص ص154-157.

(2) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربيّة دراسة في الهوية والوعي، المرجع السابق، ص268.

(3) الأرشمندريت أغابيوس جورج سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية دراسة تاريخية، المصدر السابق، ص445.

(4) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص213.

السكاكيني، وسعيد الباني، ومحمود المغربي[1]، وصل هؤلاء الأفراد إلى قرية جرمانا حيث قاموا بارتداء الزي البدوي وزودهم أحمد قدري بالخيل والأسلحة، بعد ذلك، توجهوا إلى جبل الدروز حيث استضافهم سلطان الأطرش، والتقوا هناك بعبد اللطيف العسلي وأخاه لطفي، والشيخ فريد الخازن، وكانا قادمين من دمشق، وبعضهم قد شارك في الأعمال العسكرية التي انتهت بدخول دمشق[2].

من بين الظواهر السياسية والتعبير عن دعم المسيحيين العرب للثورة العربية، يمكننا ذكر بعض الحالات الفردية للمتطوعين العرب المسيحيين الّذين انضموا إلى الثورة مثل اللبنانيين فائز الغصين، وإسكندر عمون، وشاركهم من المسلمين رشيد رضا صاحب مجلة المنار، الّذي أيد بالثورة استنادا إلى موقفه الديني وأفتى بوجوبيتها، ومع ذلك لم يمض وقت طويل حتى تم تنظيم هذه الحالات في مصر في نهاية عام 1917م، في هيئة قومية تعمل على دعم الثورة سياسيا وتحث السوريين على الانضمام إليها ودعمها[3].

يمكن استنتاج موقف المسيحيين العرب من الثورة العربيّة من خلال تقديم فكرة عامة مع تحليل الاتجاهات السياسية الّتي اعتمدتها مختلف الفئات المثقفة في بلاد الشام.

ويرجع سبب ذلك إلى أنّ العديد من الكتاب استخدموا موقف شريحة معينة من المسيحيين العرب في لبنان كحجة لتبرير موقف المسيحيين الّذين رفضوا فكرة الثورة وبناء الدولة العربيّة المستقلة.

ويمكننا القول أنّ هذا التباين والاختلاف والفوضى في المشاعر والاتجاهات كانت ظاهرة عامة بين العرب والمسلمين والمسيحيين في ذلك الوقت، فبعضهم وجد الأمل في فرنسا لتحقيق آمالهم، بينما وجد البعض الآخر في إنكلترا وقسم لم يرد الاستقلال إلا تحت

(1) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، المصدر السابق، ص231.

(2) نفسه، ص ص231-232.

(3) وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، المصدر السابق، ص276.

حماية فرنسية أو إنجليزية، وهؤلاء في الغالب كانوا من المسيحيين العرب الّذين عاشوا في فرنسا وتوجهوا إليها بميولهم وولائهم[1].

في هذا السياق سنقوم بدراسة واستعراض آراء الشّخصيات البارزة الّتي تحلل هذه الاتجاهات، بهدف توضيح الموقف السياسي للمسيحيين العرب من الثورة بشكل عام.

في ذلك الوقت، كان المؤيدون للقومية العربيّة يكنون اهتماما خاصا بالشعب السوري ويفكرون في سورية وعاصمتها دمشق عندما يطالبون بالاستقلال العربي، أما دعاة استقلال لبنان، فكانوا يفكرون في المسيحيين والمسلمون أكثر مهما كانوا يفكرون في العرب والترك، وكانت يعتبرون لبنان بلدا متوسطيا متصلا بالمسيحية الغربية، ولكنهم كانوا حريصين على استقلال كنائسهم الكاثوليكية الشرقية وفخورين بلغتهم العربية، وكانوا يدركون أنّه لا يمكنهم تجاهل البلدان السورية والعربيّة الّتي لها تأثيرها الاقتصادي والثقافي عليهم، في الوقع قبل عام 1912م، لم يكنب هناك حاجة ملحة للتمييز الواضح بين هذه الاتجاهات المختلفة، فعلى الرغم من اختلافها، كانت مصلحة جميع هذه الفئات المشتركة تتطلب تفسيرا في سياسة الحكومة ولم تكن أي فئة من هذه الفئات تبدو قريبة من تحقيق الاستقلال بأي شكل من الأشكال[2]، اندلعت الحرب العالمية الأولى وأصبح واضحا أنّها ستفتح آفاقا جديدة للعمل والحركة وستجعل من الضروري اتخاذ القرارات الّتي قد تؤدي إما إلى انهيار الإمبراطورية أو منح الاستقلال أو فرض سيطرة جديدة.

وتطلع فريق من القوميين إلى الدول الأوروبية لمساعدتهم على تحسين وضعهم، وكان بينهم من كانوا على اتصال بممثلي إنجلترا وفرنسا[3].

ووجدت بعض الأفراد الّذين يدعمون استقلال لبنان أو سوريا أو العرب، وذلك بمساعدة من أعداء الدولة العثمانية، ومع ذلك، تعرض هذا الفريق نفسه لتنازعات من قبل

---

(1) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939م)، المصدر السابق، ص342.

(2) نفسه، ص ص342-343.

(3) نفسه، ص343؛ زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص116.

عدة تيارا، بما في ذلك بعض المسلمين الّذين اعتمدوا على فرنسا أو إنكلترا، على الرغم من أنّهم كانوا في حيرة من أمرهم، حيث كانوا يعلمون أنّ لكل من إنجلترا وفرنسا مصالح خاصة بها تختلف عن مصالح العرب، ومع ذلك، قاموا بالمغامرة في هذا الأمر، لأنّ كفة الربح أكثر راجحة م كفة الخسارة[1].

ومع ذلك فإنّ بعضهم كان يتعامل مع هذه المسألة من منظور المصلحة ايضا، فقد كان السلطان آخر حاكم مستقل كبير للإسلام السني والرمز السياسي لوحدة الأمة، وإذا ثاروا عليه، فإنهم لا يثورون فقط على سيدهم، بل يقضون على وحدة الأمة الي تحتاج إليها بشدة، وبذلك يخدمون مصلحة الأعداء، ومع ذلك، لم يعاني المسيحيون وبعض المسلمين من هذه الحيرة، إما بسبب ثقتهم في حسن نوابا فرنسا وإنجلترا، أو بسبب رغبتهم في الحصول على حماية من إنجلترا أو فرنسا لأسباب دينية أو لضرورة بناء دولة حديثة، وكان الخلاف الرئيسي بين هؤلاء حول حدود وأنظمة الحكم بعد تحقيق الاستقلال عن الأتراك، فالأغلبية العظمى من دعاة الثورة المسلمين يرغبون في إقامة دولة عربية برئاسة ملك عربي، قد يكون من سلالة أشراف مكة[2].

وكان بعض الأفراد يحلمون بإقامة دولة عربية واحدة تكون بقيادة خليفة عربي، وذلك لإزالة الإمبراطورية العثمانية ونقل مركز السلطة من الأتراك إلى العرب، وكان البعض الآخر يطالب بإقامة دولة سورية مستقلة بنظام اتحادي، مع تواجد علاقات مرنة مع دولة عراق مستقلة ودولة حجاز مستقلة، لكن العلاقة مع حجاز وشريف مكة حفزت روح المقاومة لدى القوميين اللبنانيين، إما لخوفهم منعودة السيادة الإسلامية، أو لأنهم رأوا وراء الشريف سياسة بريطانيا العظمى وطموحها، وبالتالي دعوا إلى استقلال لبنان الكامل تحت الحماية الفرنسية، مع توسيع حدوده وجعل بيروت عاصمتها[3]، ومع ذلك، لم

---

[1] ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة (1798–1939م)، المصدر السابق، ص343.

[2] نفسه، ص344؛ جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، المصدر السابق، ص240.

[3] ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة (1798–1939م)، المصدر السابق، ص240.

يتوصلوا إلى اتفاق بشان نوع وحجم الحماية المطلوبة، قام دعاة القومية السورية، الّذين كان عددهم قليلا ومعظمهم من المسيحيين، بمقاومة الفكرة العربيّة بشدة، وأعلنوا أنّ السوريين ليسوا عربا وأنه لا يوجد أمة عربية، وأرادوا إنشاء جمهورية سورية علمانية ديموقراطية اتحادية تحت حماية فرنسا، ولم تكن هذه الانقسامات حادة بقدر ما كانت الحرب مستمرة، حيث انخرط العديد من المسيحيين اللبنانيين في الجيش الفرنسي[1].

وفي عام 1917م ظهرت بعض الاتجاهات السياسية لدى اللبنانيين المقيمين والمغتربين، يمكن الإشارة إلى الاتجاهات التالية:

- الاتجاه والدعوة الحجازية السورية هي حركة تركز في القاهرة ومدعومة من قبل السياسة البريطانية، وتهدف إلى توحيد سورية الكبرى في مملكة يحكمها الشريف حسين.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك هو حزب الاتحاد السوري المركزي، الذي يتخذ من مصر مقرا له، وقد دعم في عام 1917 الثورة العربيّة ومشروع تأسيس سورية الكبرى، ولم يكن لديه أي مانع من توحيد سورية مع باقي الدول العربية[2].

- الاتجاه الفرنسي السوري يتمحور حول مدينة باريس، ويتم تنفيذه بواسطة السياسة الفرنسية، ويهدف إلى توحيد سورية الكبرى وربطها بفرنسا بأي شكل من أشكال الإشراف أو الوصاية أو الانتداب.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك هي اللجنة السورية المركزية الّتي تأسست في باريس برعاية فرنسا وتحت رعية فرنسا، ورأى المتطرفون منهم بضم سورية الكبرى بالكامل إلى فرنسا[3].

---

(1) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939م)، المصدر السابق، ص345؛ توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914م)، المرجع السابق، ص81.

(2) حسان حلاق، تاريخ بلبنان المعاصر (1913-1952م)، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، 2010، ص50؛ زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص75.

(3) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر (1913-1952م)، المرجع السابق، ص ص95-96.

تأسست عصبة التحرير السورية اللبنانية في نيويورك هام 1917م، برئاسة أيوب ثابت، بهدف إقامة اتحاد فيدرالي في سورية يشمل جبل لبنان ودمشق وحلب ومناطق أخرى، تحت حماية وإرشاد فرنسا، وطالبت العصبة بفصل القضية السورية عن حركة الحجاز، سواء كانت تحت شعار الجامعة العربيّة أو جامعة الشعوب الناطقة بالضاد، وتعد من مباد العصبة تحرير سورية وجبل لبنان من الحكم العثماني بحماية فرنسا وتوليها الوصاية عليهما[1].

وفيما يتعل بمستقبل لبنان، استمرت الانقسامات بين المسلمين والمسيحيين في بيروت ولبنان، بعض الأفراد أيدوا فكرة الوحدة، في حين عارض البعض الآخر هذه الفكرة، وفي هذا السياق، قام أنطوان الجميل بإرسال رسالة من لبنان إلى يوسف السودا في 13 كانون الأول/ ديسمبر 1918م، حيث أعرب فيها عن وجهة نظره قائلا: «جاءنا من بيروت أن الناس هناك تفرقوا طوائف، فالمسيحيون مع فرنسا والمسلمون ضدها»[2].

وعليه، يعتبر الادعاء بأنّ المسيحيين رادوا الانفصال عن الدولة العثمانية خطأ شائعا، وكذلك الادعاء بأنّ جميع المسلمين أرادوا استمرار تبعيتهم للدولة العثمانية هو أيضا خطأ شائعا يحتاج إلى تحليل ودراسة، وعلاوة على ذلك، يجب أن نشير إلى أنّ المسيحيين العرب ليسوا الوحيدين الّذين قاما بالتواصل مع القوى الأجنبية بل قام بعض المسلمين في لبنان والدول العربيّة الأخرى بالتواصل معها، وخاصة إنجلترا، وعلى رأسهم الشريف حسين وعبد الكريم الخليل وغيرهم[3].

ويدعم زين هذا الرأي من خلل تحليله لتجزئة العرب من الثورة العربيّة بشأن مفهوم الاستقلال وشكل الحكم وشخصية الحاكم الّذي سيدير البالد العربية، ويثبت الكاتب ما كتبه أسير وندهام ديدس (Wyndhom Deedes) الّذي كان يعمل في الفرع المصري لمكتب

---

(1) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر (1913–1952م)، المرجع السابق، ص51.

(2) نفسه، ص ص51–52.

(3) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص ص122–123.

الاستخبارات البريطاني، لأنّه يعتبر أفضل ملخص يعطينا فكرة عن التباين في المصالح العربيّة، ومن بين ما قاله أنّ هناك ثلاثة(*) أحزاب عربية في المنطقة:

1- الحزب الّذي يمثل السوريين والّذي يهتم بشكل أساسي بمستقبل سورية، يخشى بشدة من تدخل فرنسا في سورية، ومن الامتيازات الّتي قد تتجاوز الجوانب الاقتصادية، وكرههم لفرنسا شديد، إذ سئل السوريون عن السبب، فإنهم سيشيرون إلى تجربة تونس وغيره من المستعمرات الفرنسية أي يسكنها المسلمون، أمّا المسيحيون، فلاحظت أنّهم لا يظهرون توقا شديدا تجاه الحكم الفرنسي، باستثناء الطائفة المارونية، فعلى الواقع يعارض المسيحيون في سورية الاحتلال الفرنسي لبلادهم بشمل معارضة لا تقل عن عنف المسلمين أنفسهم، هذا الموقف الحرج الّذي نجد أنفسنا فيه أصبح واضحا[1].

2- تتمحور مفاوضتنا مع حزب الشريف (شريف مكة) حول مخطط لإقامة مملكة عربية دينية وزمنية، ومع ذلك، فن هذه الفكرة غير عملية نظرا لصعوبة توحيد العرب في سوريا والعراق واليمن وغيرها من الدول العربيّة، وإقناعهم بالاعتراف بزعيم زمني واح لحكمهم، وحتى اعترافهم بزعيم ديني واحد، ومن الصعب تحديد هوية هذا الرجل، حيث يتم قبول الشريف في بعض الأماكن ورفضه في أماكن أخرى، ويتميز خزب الشريف بأنّه معتدل ومتفهم وملتزم بالولاء لفرنسا، وذلك لمصلحتهم[2].

قام كوتراني بتجاهل هذه الاتجاهات الّتي كانت في غالبيتها ضد فكرة الثورة العربية، وذلك من خلال دراسة الدور الّذي لعبته فرنسا في هذا السياق، وقد لعبت مصالح فرنسا في سورية دورا أساسيا في هذه التحولات، والمقصود هنا هو اتجاهات اللجان

(*) ذكر الحزبان اثنان أمّا الحزب الثالث هو الحزب العراقي، لم أتطرق إليه لأنّه بمضمونه خارج عن موضوع المطروح.

(1) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، المصدر السابق، ص123.

(2) نفسه، ص124.

اللبنانية السورية في الخارج[1]، وتأخير الوعود السرية القديمة من قبل الإنكليز للشريف حسين بشأن إنشاء المملكة العربية، ولكي تحقق مصالحها وتقلب التوازن الموجود في معاهدة سايكس بيكو لصلاحها، لجأت فرنسا إلى وسائل متعددة، بما في ذلك تجنيد أصدقائها السوريين واللبنانيين في الخط العام لدبلوماسيتها، وتؤكد ذلك مذكرات وشهادات المسيحيين العرب المقيمين في باريس، مثل جورج سمنة وشكري غانم وندرة مطران.

في كتابه "سورية الغد"، قدم ندرة مطران مجموعة من الحجج الأساسية لمعارضي التدخل الفرنسي في سورية وبذل جهودا لدحضها، وهدفه كان إقناع الرأي العام الفرنسي المعارض للسياسة الاستعمارية للحكومة الفرنسية، يرون أنّ فرنسا يجب أن تهتم بسورية لأنّ دمشق، كونها المدينة المقدسة والمركز الحافظ التقاليد الإسلامية العربية، تعتبر قمة الصرح بالنسبة لفرنسا، يمكن فرنسا من خلال دمشق أن تقود المحتمل السوري العربي، ومن خلالها يمكننا مراقبة تلك النقاط الّتي قد يحاول الأعداء إنشاؤها واستغلالها ضدها[2].

ويشير المطران إلى أنّ فرنسا من خلال احتلالها، لا تتبع سياسة العواطف، بل تسعى لتحقيق مصالحها المادية، وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ السوريين لا يرغبون في تصديق أنّ فرنسا قد تتخلى عنهم في اللحظة الأخيرة، بعد أن كانت تحميهم وتدافع عن مصالحهم، ويحاول المطران أيضا إقناع سكان جبل لبنان بالانضمام إلى دولة سورية المحمية من قبل فرنسا، الّتي منحتهم امتيازات الاستقلال، وفي هذا السياق يقول: «إنّها خير حكم قادر على استخدامها بما يناسب تطوركم، فاتركوا أنفسكم لإرادتها»[3].

ومن الأمثلة الأخرى الدالة على ذلك هو تشكيل اللجنة المركزية السورية عام 1917م، حيث تم اختيار أعضائها من بين مؤسسي اللجنة اللبنانية الّتي تشكلت بنشاطها، وهذ يعد مثالا على توافق أعضائها من بين مؤسسي اللجنة اللبنانية الّتي تشكلت بنشاطها،

---

(1) وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي (1860-1920م)، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، 1976م، ص252، ص252.

(2) نفسه، ص ص252-253.

(3) نفسه، ص253.

وهذا يعد مثالا آخر على توافق احتياجات الدبلوماسية الفرنسية مع بعض ردود الفعل المحلية في الخارج. أكد البيان التأسيسي للجنة على مفهوم تحقيق استقلال سورية تحت القيادة الفرنسية، مع التأكيد بشدة على أربعة أهداف وهي على التوالي:

- متابعة وإكمال التجنيد في الفرقة السورية.
- إقامة صندوق إغاثة لسد الحاجات الأولية للوطن بعد تحريره بمباشرة.
- إخضاع جميع التنظيمات الّتي تستهدف تحرير سورية لنظام المركزية.
- إخضاع جميع التنظيمات الّتي تستهدف تحرير سورية لنظام المركزية.
- وضع دراسة لصيغة النظام القادم في سورية بموافقة الحكومة الفرنسية.

قامت اللجنة بإرسال وفود إلى جميع الدول الّتي تستهدف جاليات سورية لبنانية، بهدف القيام بحملة دعائية سياسية تركز على فكرة ضرورة تقديم المساعدة لفرنسا من أجل تحرير سورية[1].

وبغض النظر عن الأمر، فإنّ الحركة لم تكن سوى تعبير عن العمل السياسي الفرنسي، وبغض النظر عن هذا الأمر، فإنّ هذه النخبة والدور الّذي لعبته في خدمة السياسة الفرنسية يجب أن يؤكد أنّ هذه النخبة ذات الثقافة الفرنسية والّتي نشأت من البرجوازية من خلال الوعود الفرنسية، ومع ذلك، فإنّ طموحها في لعب دور تاريخي، كما يتضح من الأدبيات السياسية لها، هو إقامة وطن في سورية بأكملها ولعب دور تاريخي، كما يتضح من الأدبيات السياسية لها، هو إقامة وطن في سورية بأكملها ولعب دور القادة المثقفين للشعب، ولكن لم يجد هذا الطموح صدى أو استجابة، سواء في صفوف الشعب السوري أو في الطبقات المثقفة ذات التنوع الاجتماعي والتاريخ الثقافي[2].

---

[1] وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي (1860-1920م)، المصدر السابق، ص ص255-256.

[2] نفسه، ص257.

وإزاء هذه الطائفة من الآراء ذهب العديد من الكتاب القوميين إلى أنّ الثورة العربيّة هي ثورة قومية أصيلة وحدث تاريخي ونقطة انطلاقة عربية حقيقية، وقد أحدثت تغييرا جذريا حتى وإن لم تتمكن من تحقيق أهدافها، لأنّ كلّ ثورة تحمل في طياتها فكرا للواقع والمستقبل العربي، فالثورة في سياقها التاريخي، جاءت ردة فعل لسياسة الأتراك العنصريين، وكانت تحمل في طياتها فكرا عربيا وتصورا جديدا لواقع جديد ومستقبل جديد، وعلى الرغم من أنّها انطلقت من أرض الحجاز، إلا أنّها لم تكن حجازية بل كانت عربية، حيث قامت الجمعيات العربيّة في دمشق بوضع ميثاق دمشق الّذي كان الأساس في مفاوضات الشريف حسين مع بريطانيا لتحقيق استقلال العرب، وساهمت هذه الجمعيات بشكل فعال في التخطيط لإعلان الثورة وأقنعت الشريف حسين بتصميم علم الثورة، وهو العلم نفسه الّذي صممه رجال الجمعية العربيّة الفتاة عام 1914م[1].

ويعترف فيصل بن الحسين بأهمية الجمعيات العربيّة في تعزيز الوعي والتنمية، بقوله: «لا شك في أنّ المسؤول الأول في الحركة هو أولا والدي ثم الحجازيون مادة، الّذين قاموا بها فعلا، أمّا السوريون فانهم مسؤولون عنها معنى، لأنّهم قد شوقوا الحجاز بين الحركة»[2]، الأمر الّذي دفع أحد الباحثين إلى القول: «إنّ الهاشميين والإنكليز أشعلوا الثورة، ولكنهم لم يصنعوها، لأنّ الّذين صنعوها هم القوميون على اختلاف أحزابهم ومفاهيمهم، وأن رواد تلك الأحزاب والمفاهيم قيدوا الهاشميين بقيود وطنية تتمثل فيها مطالب الحركة العربيّة، قبل أن يدعوا الهاشميين للتعاون معهم»[3].

---

(1) حسين عليوي، الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي (1918–1956م)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2000، ص ص47–48.

(2) نفسه، ص49.

(3) نفسه، ص49.

المطلب الثاني: الدور الثقافي والإعلامي

تمثل الدور الثقافي والإعلامي للمسيحيين العرب فيما يتعلق بالثورة الكبرى في الشعر والقصائد الّتي قيلت في مدح الثورة كحدث تاريخي وتمجيد أهدافها وقائدها، يعود سبب ذلك إلى توقف الصحف العربيّة عن النشر في بلاد الشام منذ بداية الثورة تحديدا، حيث تناولت مواضيع تحث على الثورة وتمجيد الشهداء 6 أيار/ مايو 1916م، والتغني بالقومية العربية، وبالتالي أعلنت دعمه لاندلاع الثورة، وأخيرا مدح قائد الثورة الشريف حسين بن علي، ويأتي في طليعة هؤلاء الشعراء إيليا أبو ماضي، إذ نشر الروح القومية العربيّة وحض على الثورة والاستقلال عن الأتراك، وأخذ الشعراء يصفون المأساة ويرثون الشهداء ومنهم: جورج أطلس، فارس الخوري، حليم دموس، رشيد سليم الخوري، بشارة الخوري، وخليل مطران، ورفيق رزق سلوم بقصيدته "ضبطوا الدماء على قبري" ممّا يوضح موقف المسيحيين العرب من الثورة ودعمهم وتأييدهم لها[1].

وفي مرحلة لاحقة، استعرض الفرد العربي هوية الثورة العربية، ثم ركز على هويتها الدينية، فالعربية ترتبط بالإسلام، وقد نشأت الثورة من أجل خدمة العرب والإسلام، ومن هؤلاء الشعراء: أمين الريحاني، وخليل السكاكيني الّذي وضع نشيدا وطنيا ولحنه وأصبح نشيد الثورة، ورشيد أيوب في قصيدته "شريف مكة"، إذ كانت تحية أرسلها للشريف حسين عبر فيها عن فرحته بقيام الثورة وتأييده لها وإعجابه بقائدها.

وأبرز الشعراء العرب المسيحيون هيبة الشريف حسين الدينية وغيرته على الدين وتحريره للعرب وإنقاذهم من جرائم الاتحاديون ومنهم: مراد الخوري، قسطنطين يني، أمين الوبري، إلياس طعمة، أسعد داغر، وغيرهم الكثير[2]، ويأتي الشاعر إيليا أبو ماضي في طليعة الشعراء العرب المسيحيين الّذين نشروا روح القومية العربيّة ودعوا إلى الثورة والحرية، ويقول إيليا أبو ماضي في هذا السياق:

---

(1) الأرشمندريت أغابيوس جورج أبو سعدى المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية دراسة تاريخية، المصدر السابق، ص447.

(2) نفسه، ص ص447-448.

أبنــاء ســورية الفتــاة تظــافروا وخـــذوا مثـــالكم مـــن البلقـــان
ما الترك أهل أن يســودوا فــيكم أو تحكـــم الآســـاد بالظلمـــان
هم ألبسو الشر في ثوب غضاضة وســـقوه كأســـي ذلـــة وهـــوان
فاذ جرى ذكر الشعوب بموضــع شمخت، وطأطأ رأسه العثمـــاني! [1]

ويقول أيضا في قصيدة عنوانها "دموع وتنهدات":

فيا أمّة قد طــال عهــد ســباتها متى يكشف الإصباح عنك الدّياجيا
إلى كم تــودّين البقــاء لمعشــر بقـــاؤهم يـــدني إليـــك التّلاشـــيا
ثلاثـــة أجيـــال تقضّـــت وأنـــتم تسامون منهم ما تســـام المواشـــيا
أم آن يســـترجع التـــاج أهلـــه ويسترجع التـــاج المهابـــة ثانيـــا
من كان جنكيز لقحطـــان ســـيّدا فيسمى بنو هـــذا لـــذاك مواليـــا؟
ويا عقلاء العرب هـــذا زمـــانكم فكونوا لمن ضلّ المحجّة، هاديـــا [2]

ويقول أيضا من قصيدته بعنوان "عصر الرشيد":

أعطاهم صرف الزمان زمامـــه أمنوا وما أمـــن الزمـــان دواهيـــه
لا اســـتفزكم لمثـــل فتـــوحكم لكـــن إلـــى حفـــظ البقايـــا الباقيـــه
أتذل آنـــاف الملـــوك جـــدودكم وتسومكم خســـفا رعـــاة الماشـــيه؟
كم تصبرون على الهوان كأنكم فـــي غبطـــة والـــذل نـــار حاميـــه
يا للرجال! أمـــا علمـــتم أنـــك أن لـــم تثـــوروا، أمـــة متلاشـــيه؟[3]

وعبر الشاعر القروي رشيد سليم الخوري عن غضبه واستياءه تجاه تلك المجزرة الرهيبة، وقد قام بتأليف قصيدة بعنوان "الشهداء"، حيث بدأها بالتسليم على أرواح الشهداء، واعتبر الشاعر أنّ الحبل الّتي استخدمت لقتل الشهداء كانت سببا في توحيد بالعرب حول

---

[1] إيليا أبو ماضي، ديوان إيليا أبو ماضي، دار العودة، لبنان، بيرت، [د.ت]، ص700.

[2] نفسه، ص819.

[3] نفسه، ص827..

قضية الانتماء لهم، فقد جمعت تلك المجزرة العرب ووحدت قلوبهم وعقائدهم ويناشد الشاعر أبناء الأمة العربيّة بضرورة الثأر والانتقام للشهداء، يقول:

خير المطالع تسليم على الشهدا   أزكى الصلاة على أرواحهم أبدا
فلتحن الهام إجلالا وتكرمة   لكل حر عن الأوطان مات فدى
يا أنجم الوطن الزهر التي سطعت   في جو لبنان للشعب الضليل هدى
قد علقتم يد الجاني ملطخةً   فقدست بكم الأعواد والمسدا
حتى غدا كلُ حر لو نصبتُ له   حبل المنون على هدابه سجدا
بل علقوكم بصدر الأفق أوسمة   منها الثريا تلظى صدرها حسدا[1]
أكرم بحبل غدا للعرب رابطة   وعقدة وحدت للعرب معتقدا

وينكر هذا "الأخطل الصغير" "لبشارة الخوري"، جما باضا وإنجازاته في الشام وبيروت، ويشعر بالأسف على الشباب المثقف ويصور الحزن الّذي أثر في نفوس الناس، حيث يقول:

الحبل أن على الخشب   أو ما تراه قد اضطراب
سئم الرقاب وقد شكا   زوراتها عصبا عصب
سالت نفوسهم عليا   كالجين على اللهب
شموا الحبال تنشدوا   منهن أعراف الأدب
ليت الّذي نصب الحبا   لقضى وم بلغ الأدرب
انا لو قدرت لضننتها   صون العزيز المستحب
وجمعت هاتيك العظام   وقد نشبت لها الترب
ولففت هاتيك الحبال   بها على نسق عجب
وجعلتها في هيكل   الأوطان تذكار النوب
تذكار غمد مهند الـ   أتراك في صدر العرب (2)

[1] رشيد سليم الخوري، ديوان الأعاصير، مطبعة مجلة الشرق، د م، د ت، ص56.

[2] بشارة الخوري، الأخطل الصغير الديوان الكامل، بم، تر، تق: مهام أبو جودة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، لبنان، بيروت، 1998، ص ص176-177.

ويشاركه في رثاء الشريف حسين الأخطل الصغير، حيث كتب قصيدة بعنوان "عفوا أبا الأملاك" يقول فيها:

عفوا أبا الأملاك مــن هاشــم	وغزة الاقبال مــن يعــرب
أفــي ثــلاث دون مــد القنــا	يجترئ الشعر على ابن النبي
ولست أرضــاه لــه إن أنــا	لم أنظم الكوكــب بالكوكــب
ودون ما أيفيــه بمــن شــأوه	تكبو به خيل أبــي الطيــب
أقــول للزهــر علــى نعشــه	ما أعلــق الطيــب بالطيــب
ولعيــون المجــد مــن بعــده	لم يبق من تبكينــه فانصــبي
فخرا فلسطين حبتــك العلــى	أروع م حاكت يــد الأحقــب
ضيفك ضيف الله فــي بيتــه	وحجة الشرق على المغــرب
أبا على راحــة فــي الثــرى	وأخلع عليه شــكة المحــرب
نزلت من يعرب فــي معقــل	ومن جنان القدس في مرقب
إلى "يسوع" أنت فــي مهــده	تحية "الروضة" فــي يثــرب (1)

وما دمنا نتحدث عن المسيحيين العرب وليس عن المسيحيين في العالم العربي، فهذا يعني أنّهم لم يأتوا من خارجه ليظهروا دورهم في عملية التطور كمنحة أو هبة منهم، بل هم جزء من حضارة هذه المنطقة وأحد أجنحتها، ودورهم ليس مجرد طور طبيعي الّذي يقدمه المواطن لوطنه، بل هم مواطنون لهم حقوقهم المواطنة وعليهم واجباتها، وعلى الرغم من الجهود الّتي يبذلها المتطرفون.

وبغض النظر عن الظروف الّتي تحدث هناك وهناك بين حين والآخر، يتجلى هنا الفهم الحقيقي لدور المسيحيين العرب عندما يوضع في هذا السياق، ومن هذا المنطلق، يصبح وجودهم ظاهرة راسخة، وبهذا الشكل فإنّ حضورهم التاريخي والقومي يلتقي ويتفاعل مع حضور المسلمين في جناح الأمة الأخرى ليكون في خدمتها(2).

---

(1) بشارة الخوري، الأخطل الصغير الديوان الكامل، المصدر السابق، ص ص274-275.

(2) الأرشمندريت أغابيوس جورج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والشرقية دراسة تاريخية، المصدر السابق، ص ص447-448.

وإذا كان الإقرار بهذا الدور لا يختلف عليه أحد، لكن هناك اتجاهان في تقويمه وخاصة م يتعلق بتبني المشروع القومي العربي والعروبة:

– الأول: يتفق عدد كبير من الأقباط وانا منهم على أن الانتماء العربي للمسلمين يعود إلى قبل اعتناقهم للمسيحية، حيث تواجدت القبائل العربيّة قبل ظهور الديانة المسيحية وما زالت تذكر في كتب التاريخ بأسمائها المعروفة، استقبل العرب الإسلام كوريث للتراث العربي برحابة صدر وبدون أية مشاكل تذكر، بل عاشوا معه وساندوه ودعموا مسيرته، هذه ليست مجرد خطابة بل هي حقيقة تاريخية، ويبرر هذا الانتماء البحث عن مشروع سياسي يحقق أهداف الأمة، ويتجسد ذلك في المشروع العربي الّذي يحمل مفاهيم بالتحرر والحرية والعدالة والمساواة والتقدم والوحدة ويتوافق مع الأهداف السياسية لهذه الأمة[1].

– أمّا الاتجاه الثاني: يرى أنّ حمل العرب المسيحيين لراية القومية والعروبة يعد تحديا للإسلام داخل الدولة العثمانية، يعتبر المشروع القومي صناعة غربية تم اعتمادها من قبل هؤلاء الأشخاص لتبرير فصل الدين عن الدولة، وهو موقف يرفضه المسلمون ويؤكدون على التلازم بين الدين والدولة، على الرغم من ذلك، وجدوا في هذا المشروع المجال الواسع لتبرير دعوتهم، وهذا الرأي يعتبر تجاهلا للحقوق ليس فقط للمسيحيين العرب، ولكن لجميع العرب الّذين اعتمدوا ودعموا هذا المشروع.

إذ أنّ المسيحيين العرب جاؤوا من جذور العربية، ولديهم تراث ولغة وتاريخ وتوحيد، وكانوا جنبا إلى جنب مع بقية مكونات الدولة الإسلامية العربيّة في الدولة الّتي ترتفع حضاريا عبر تاريخها[2].

---

[1] الأرشمندريت أغابيوس جورج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والشرقية دراسة تاريخية، المصدر السابق، ص ص447–448.

[2] نفسه، ص448.

خلاصة:

تم عقد المؤتمر العربي الأول بهدف تحديد مواقف العرب اتجاه سياسة الاتحاديين، واطلاع الرأي العام العالمي بشأن القضية العربيّة، ساهم في تنفيذ العديد من المثقفين أمثال عبد الغني العربي ومحمد المحمصاني، وجميل مردم، وتوفيق السويدي، وعبد الحميد الزهراوي، موضحا أنّ هدفه الأساسي ليس الانفصال عن الدولة العثمانية، بل كانوا يسعون لإصلاح الدولة على أساس اللامركزية والمساواة، بمساعدة من الغرب متجاوزين أطماعهم في الوطن العربي، واعتبروها سببا في تأخر العرب، ودعوا إلى أن يكون المسلمين والمسيحيين كلا واحدا ضمن الأمة العربيّة.

وعلى الجانب المقابل، قبلت الدولة العثمانية ووقعت على قرارات المؤتمر، لكنها بعد ذلك نفت هذه المطالب وأصدرت قرارات معارض للطموحات العربيّة وتسريع تنفيذ سياسة التتريك ومقاومة الحركة الإصلاحية وإلغاء الأحزاب العربيّة.

وفيما يتعلق بموقف المسيحيين العرب من الثورة العربيّة الكبرى، يمكننا أن نقول أنّ المواقف كانت متباينة سياسيا وإعلاميا وثقافيا، وجدنا بعض الأفراد الّذي كانوا في صف الثورة، وعبروا عن ذلك من خلال مشاركتهم السياسية ومن عبر عن تأييدها من خلال الشعر الّذي تم تأليفه لتمجيد الثورة الكبرى، نتيجة لإغلاق جميع الأحزاب السياسية والتوجه نحو الشعر والكتابة، وهناك من تأمل في تكوين دولة حديثة عن طريق الدعم الغربي والتخلص نهائيا من الحكم التركي.

خاتمة

ولقد توصلت من خلال عملي هذا إلى استنتاج مجموعة من النقاط منها:

- أن التشريعات والقوانين التمييزية التي فرضتها سياسة الدولة العثمانية على أن المسيحين العرب في بلاد الشام، أصبحت حجة وسببا مهما اتخذته الدول الأوروبية بين التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية، وتم تنفيذ ذلك من خلال توفير الحماية المسيحيين العرب والحفاظ على حقوقهم، مما أدى إلى إنشاء وضع خاص لهم اقتصاديا وتعليميا وبفضل اتصالاتهم مع العرب تمكنها من الاطلاع على ثقافته وحضارته بشكل واسع، مما دفعهم إلى اعتماد التيارات الفكرية فيه في ذلك الوقت، بما في ذلك الفكرة القومية.

انتهت الدراسة إلى استنتاج على تعبير في شكل التساؤل التالي:

- لماذا تبني المسيحيون بالقرب من فكرة القومية العربية؟ وهل تم تحقيق ذلك بهدف خدمة مصالح الدول الاستعمارية في المنطقة والقضاء على فكرة الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، أم أن ذلك بسبب إحساس المسيحي بالانتماء إلى الأمة العربية التي عاش في ظلها لمئات السنين، والذي يعتبر نفسه جزءا لا يتجزأ من مكوناتها على غرار المسلم العربي الذي يرتبط بها من خلال اللغة والتاريخ والتراث والعادات والتقاليد المشتركة؟

- لقد كان الدين الإسلامي بالنسبة للمسيحين العرب يعتبر عنصرا أساسيا في فكرة الوحدة القومية العربية، حيث يعتقد المسيحي العربي أن عزة الإسلام لن تعود إليه إلا بواسطة العرب، نظرا لأن العرب هم الذين يعملون على نشر الإسلام، وأن الخلافة يجب أن تكون حصرا بيد المسلم العربي ولا يجوز أن يكون غير ذلك.

- توجد مجموعة واسعة من المسيحيين العرب الذين ساهموا في تشكيل فكرة القومية العربية. أبرزهم: ناصيف اليازجي وإبراهيم اليازجي وبطرس البستاني وسليمان البستاني وجبر ضومط وأديب إسحاق وأحمد فارس الشدياق ونجيب عازوري وغيرهم الكثير.

- تجلى الهدف الاسمى للمسيحين العرب من خلال تبني فكرة القومية العربية في تحقيق الوحدة العربية ما بين بلاد الشام، والحرص على المساواة مع المسلمين العرب، بهدف بناء الدولة العربية التي تستند إلى مبادئ التقدم والتحضير الحديث، للوصول إلى ركب التطور الذي وصلت إليه الدول الأوروبية من تقدم وازدهار في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية.

الملاحق

الملحق رقم 01: صورة ناصف اليازجي[1]

الملحق رقم 02: صورة بطرس البستاني[2]

[1] الفيكونت فيليب دى طرازي، تاريخ الصحافة العربية، ج1، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، 1913م، ص83.

[2] نفسه، ص90.

قائمة

المصادروالمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أ- المصادر:

1. أديب إسحاق، الدرر، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، 1909م.

2. أديب إسحاق، الكتابات السياسية والاجتماعية، تق: ناجي علوش، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1978.

3. أرسلان شكيب، سيرة ذاتية، ط1، الدار التقدمية، لبنان، 2008.

4. الأرشمندريت أغابيوس جوج أبو سعدي المخلصي، المسيحية العربيّة والمشرقية دراسة تاريخية من العام 30م إلى العام 2016م، ط2، بيروت، لبنان، 2016.

5. الأعظمي أحمد عزت، القضية العربيّة: أسبابها مقدماتها تطورها ونتائجها، مطبعة الشعب، بغداد، العراق، 1931.

6. أنطونيوس جورج، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987.

7. إيليا أبو ماضي، ديوان إيليا أبو ماضي، دار العودة، لبنان، بيرت، [د.ت].

8. بركات داود، البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام 1832، المطبعة الرحمانية، القاهرة، مصر، ج2، د ت.

9. البستاني بطرس، أدباء العرب في الأعصر العباسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، بيروت، لبنان، 1979.

10. البستاني بطرس، تعليم النساء آداب العرب، منتخبات، بيروت، لبنان، 1929م.

11. البستاني بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروا، لبنان، 1944، مج1.

12. البستاني بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيرت، لبنان، 1978.

13. البستاني بطرس، نفير سورية، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1990.

14. فريد بك محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط2، مطبعة محمد أفندي مصطفى بحوش قدم، القاهرة، مصر، 1896.

15. بيهم محمد جميل، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ط1، ج2، مطابع دار الكشاف، بيروت، لبنان، 1950.

16. ثابت كريم، محمد علي، ط2، مطبعة المعارف، مصر، 1943.

17. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج4، دار الهلال، القاهرة، [د ت].

18. الحصري ساطع أبو خلدون، الأعمال القومية لساطع الحصري، ق1، ج5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1985م.

19. الحصري ساطع أبو خلدون، حول القومية العربيّة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1961.

20. الحكيم يوسف، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، دار النهار، بيروت، لبنان، 1991.

21. حلاق حسان، تاريخ بلبنان المعاصر (1913-1952م)، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، 2010.

22. الخوري بشارة، الأخطل الصغير الديوان الكامل، بم، تر، تق: مهام أبو جودة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، لبنان، بيروت، 1998.

23. دروزة محمد عزة، الحركة الغربية الحديثة، المطبعة العصرية، صيدا، 1950م.

24. سركيس سليم، غرائب المكتوبجي، ط1، دار المدى، القاهرة، 1896.

25. سعيد أمين، الثورة العربيّة الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربيّة في ربع قرن، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، [د.ت].

26. السويدي توفيق، مذكراتي نصف قرن من تاريخ بالعراق والقضية العربيّة، منبر الحرية، د م، د ت.

27. سيف يوسف، الأقباط والقومية العربيّة- دراسة استطلاعية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2011.

28. الشدياق أحمد فارس، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، الاستانة، 1871.

29. الشدياق أحمد فارس، الساق على الساق في ما هو الفارياق، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1855.

30. الشدياق أحمد فارس، سير الليال في القلب والإبدال، [د د] [د م] [د ت].

31. الشدياق أحمد فارس، كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، دار الجوائب، الاستانة، 1871

32. الشميل شبلي، فلسفة النشوء والارتقاء، ج1، مطبعة المقتطف، مصر، 1910.

33. الشميل شبلي، كتابات سياسية وإصلاحية، تح: أسعد رزق، ط1، دار بيروت، 1991.

34. الصليبي كمال، تاريخ بلبنان الحديث، ط7، دار النهار للنشر، بيروت، 1991م.

35. ضومط جبر، فلسفة البلاغة، المطبعة العثمانية، بعبدا، لبنان، 1898.

36. عازوري نجيب، يقظة الأمة العربية، تق- تع: أحمد بوملحم، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، 1976.

37. عليوي هادي حسن، الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي (1918-1956)، سلسلة أطروحات دكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2000م.

38. قدوري أحمد، مذكراتي عن الثورة العربيّة الكبرى، مطابع ابن زيدون، دمشق، سوريا، 1956.

39. قسطنطين بازيلي، سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، تر: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، الاتحاد السوفياتي، 1989.

40. كوتراني وجيه، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي (1860-1920م)، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، 1976م.

41. كوتراني وجيه، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، سلسلة أطروحات دكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، 1988.

42. مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا علي سوريا، سلسلة دراسات ووثائق تاريخ دمشق والشام، دمشق في منتصف القرن التاسع عشر، تح تق: أحمد غسان سبانو، [د م]، [د س].

43. اليازجي ناصيف، فصل الخطاب في أصول لغة الأعراب، [د د]، بيروت، لبنان، 1913.

44. اليازجي ناصيف، مجمع البحرين، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، 1885.

45. اليازجي ناصيف، مجموع الأدب في فنون العرب، ط10، المطبعة الأميركانية، بيروت، لبنان، 1937.

ب- المراجع:

46. أبو عز الدين سليمان، إبراهيم باشا في سوريا، المطبعة العالمية ليوسف صادر، بيروت، 1929م.

47. الجالودي عليان، محمد عدنان البخيت، قضايا علجون في عصر التنظيمات العثمانية، اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، عمان، الأردن، 1992.

48. حنا أبو الحنا، طلائع بالنهضة في فلسطين خريجو المدارس الروسية 1862-1914م، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، 2005.

49. الخازن فيليب وفريد الخازن، مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان من سنة 1840 إلى سنة 1910، مطبعة الصبر، جوبية، لبنان، 1911، ج3.

50. الخازن فيليب وفريد الخازن، مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية في سوريا ولبنان من سنة 1840 إلى 1910، ج1، مطبعة الصبر، جوينة، لبنان، 1910.

51. الخوري رشيد سليم، ديوان الأعاصير، مطبعة مجلة الشرق، د م، د ت.

52. الدبس يوسف، من الموجز في تاريخ سورية، المطبعة العمومية المارونية، بيروت، 1907، لبنان، ج2.

53. الدوري عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربيّة: دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.

54. رافق عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1519-1916م، ط2، [د د]، دمشق، 1993.

55. الزبيدي مفيد، العصر العثماني، دار أسامة للنشر، الأردن، عمان، 2003.

56. زين نور الدين زين، نشوء القومية العربيّة مع دراسة تاريخية في العلاقات العربيّة الكبرى، ط4، دار النهار للنشر، بيروت، 1986.

57. سالم محمد لطيفة، الحكم المصري في الشام 1831-1841م، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990م.

58. سركيس سليم ، سر مملكة، ج1، [د د]، مصر، 1895م.

59. شلبي عبد الجليل، الإرساليات التبشيرية كتاب يبحث في نشأة التبشير وتطوره وأشهر الإرساليات التبشيرية ومناهجها، منشاة المعارف، الإسكندرية، د ت.

60. عضو جمعية عربية سرية، ثورة العرب الكبرى، 1916م، كتائب الرائد العربي، دمشق، 1916م.

61. العظمة عزيز، العلمانية من منظور مختلف، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيرت، لبنان، 1992.

62. عقيل إنعام بنت محمد، طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها، ط1، مؤسسة عكاظ، 2013.

63. عليوي حسين، الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي (1918-1956م)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2000.

64. عنبرة سلام الخالدي، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، دار النهار، بيروت، لبنان، 1978م.

65. عوض عبد العزيز محمد، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1914-1964م، تق: أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، مصر.

66. غرابية عبد الكريم، سورية في القرن التاسع عشر، 1840-1876م محاضرات معهد الدراسات العربيّة العلية، معهد الجيل الجديد للطباعة، جامعة الدول العربية، 1961-1962م.

67. فاخوري عمر، كيف ينهض العرب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 1913م.

68. الفيكونت فيليب دى طرازي، تاريخ الصحافة العربية، ج1، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، 1913م.

69. كرم جورج أديب، أحزاب اللبنانيين وجمعياتهم في الربع الأول من القرن العشرين (1908-1960م)، ط1، دار النهار، بيروت، 2003.

70. الكيالي سامي، الأدب والقومية في سورية، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، مصر، 1969.

71. محمود محمد علي، شبلي الشميل... رائد نظرية التطور في عصر النهضة العربية، جامعة أسيوط، [د ت].

72. المقدسي أنيس الخوري، الاتجاهات الأدبيّة في العالم العربي الحديث، ط1، منشورات كلية العلوم والآداب، جامعة بيروت الأمريكية، 1952.

73. المؤتمر العربي الأول، الجنة العليا لجزب اللامركزية، مصر، القاهرة، 1913م.

74. موسوعة تاريخ الأديان، الباب الثالث، النصرانية.

75. اليازجي الشيخ إبراهيم (1847-1906م)، عيسى ميخائيل سابا، دار المعارف، بيروت، لبنان.

ج- الرسائل الجامعية:

76. برو علي توفيق، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914م)، رسالة ماجستير في التاريخ العربي الحديث، معهد الدراسات العربيّة العالمية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1960، ص61.

77. الحنفي عبد الهادي محمد يسرى، الإرساليات الأجنبية إلى بلاد الشام خلال القرن الثالث عشر الهجري وحركة النصري الإسلامي لها 1601هـ-1786م/1300هـ-1883م، مج2، رسالة مقدمة لنسل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، السعودية، 1996م.

78. سوريـــال رياض، المجتمع القبطي في مصر في القرن (19م)، رسالة ماجستير في تاريخ مصر الحديث، جامعة القاهرة، [د ت]، ص133.

د- المقالات والمجلات:

79. بن الموفق شهيناز سمية، الجزويت اليسوعية وأبعادها العقدية والسياسية، جامعة عبد القادر للعلوم الإسلامية.

80. صالح محمود حبيب، البعثات الأرثوذكسية الروسية في بلاد الشام ل(سورية وفلسطين) 1840-1914م، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق.

81. طارق أحمد شمس، من تاريخ لبنان (الموارنة، الجراجمة، المردة)، مجلة العربي، العدد 768، 2022/11.

82. اليازجي إبراهيم، شارة زلزل، "اللغة والعصر"، مجلة البيان، ج4، مطبعة البيان، مصر، 1897.

83. اليازجي إبراهيم، شارة زلزل، "اللغة والعصر"، مجلة البيان، ج6، مطبعة البيان، مصر، 1897.

هـ- المراجع بالأجنبية:

84. *Bruce Masters, Christion's and Jews, in the ottoman Arab world, the roots of sectarianism, Cambridge studies in Islamic civilization, Cambridge university press, United Kingdom, 2001,*

85. *Benjamin Braudy, Christion's and Jews in the Ottoman Empire, USA, 2014,.*

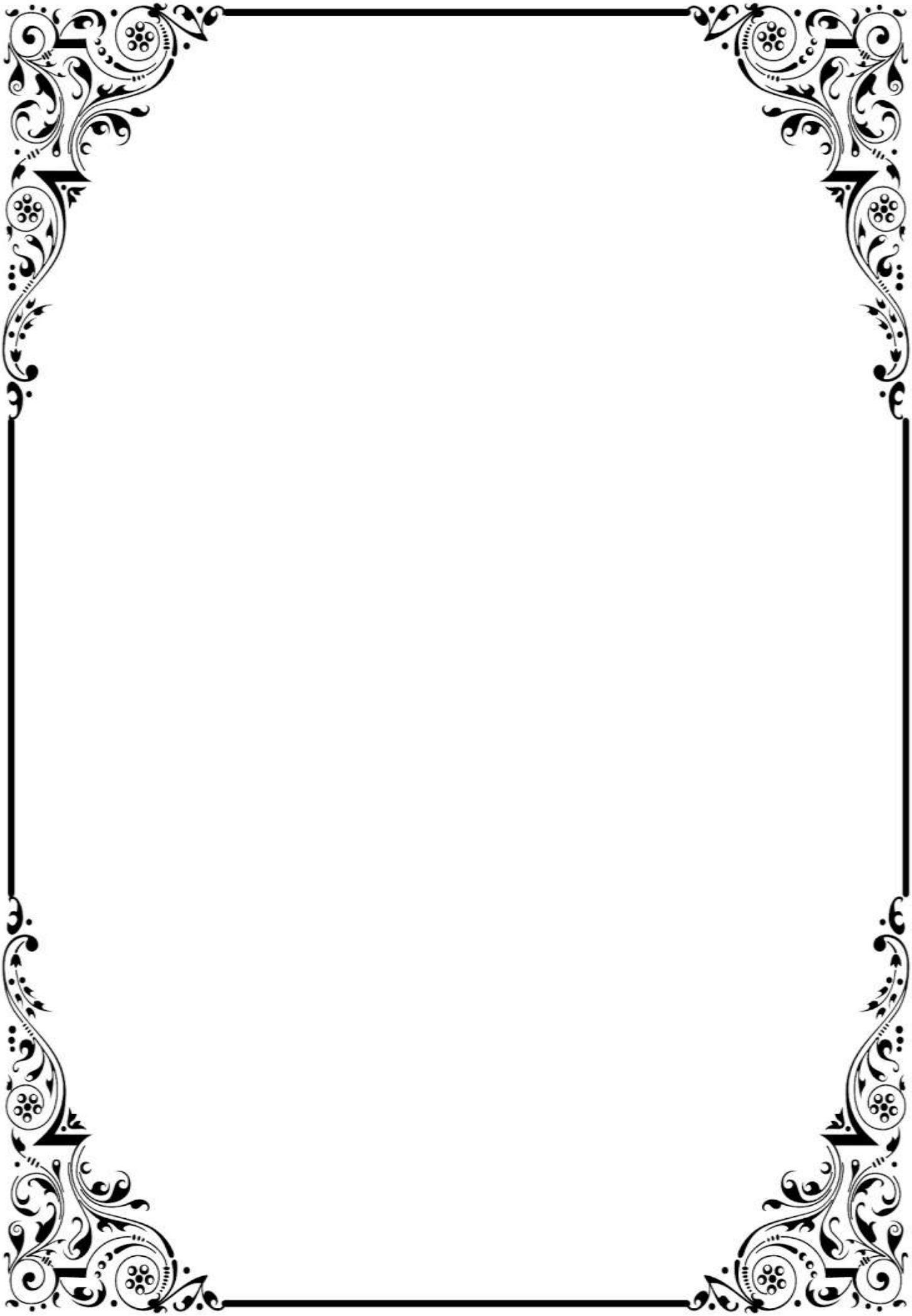

ملخص:

تم تناول هذه الدراسة دور المسيحين العرب في بلاد الشام خلال الفترة (1840–1918م) في تشكيل الفكر القومي العربي، حيث تطرقت في البداية إلى ذكر أوضاع المسيحين العرب في ظل الحكم العثماني (1516–1916م)، وفي مرحلة حكم محمد علي باشا لمصر. وبلاد الشام (1831–1841م)، حيث طرأت على أوضاع المسيحين العرب تحولات عميقة.

ثم تطرقت إلى تنامي نشاط الإرساليات التبشيرية في بلاد الشام الذي كانت تدعمه الإرساليات. الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية، وأثر هذا النشاط في المسيحيين العرب.

كما عرجت على تجليات النهضة الفكرية عند العرب في حدود فترة الدراسة، وما شهدت من مظاهر التقدم من جمعيات وصحافة ومؤلفات وغيرها...، إضافة إلى التنظيمات السياسية.

القومية العربية حيث أشرت لأهم الجمعيات العلنية والسرية خلال فترة الدراسة.

التي أسسها أو ساهم في تأسيسها المسيحيون العرب.

كما تطرقت أيضا في هذه الدراسة إلى دور المسيحيين العرب في المؤتمر العربي الأول الذي عقد الذي عقد في باريس عام 1913م من حيث الإعداد و المشاركة والمناقشة من خلال الكلمات التي القاها المسيحيون العرب

بينما خصصت في الجزء الأخير للكشف عن دور المسيحين العرب في الثورة العربية الكبرى حيث

تباينت مواقفهم سياسيا وإعلاميا في التعبير عن رأيهم من خلال تأييد أغلبتهم لها، والمشاركة في مجرياتها، خاصة التي اتضحت من خلال القصائد التي تعكس عمق الإحساس والمؤازرة لهذه الثورة.

الكلمات المفتاحية: المسيحيين العرب – القومية العربية – بلاد الشام (1840 – 1918م) المشرق العربي.

ا كان المسيحيين العرب و بلاد الشام دورا فعالا في تشكيل الجمعيات والتنظيمات السياسية

الي تستند إلى فكرة المساواة بين المسلمين والمسيحين العربي، بهدف تحقيق العيش المشترك

واستبعاد الطائفية والتعصب الديني من مشاعرهم وعقولهم، وتوحيد الأهداف القومية، بدءاً من

الذين يطمحون إلى تحقيق ما وصل إليه الغرب من تقدم وتطور من خلال اعتماد العلوم المعاصرة والابتعاد عن التقاليد في مختلف المجالات العلمية، ومن ثم التنظيمات الأساسية التي مهدت للتخلص من الحكم العثماني في الفترة من (1908–1914م)، وعبر الجمعيات التي سعت للتخلص من الحكم التركي ما بعد عام 1914م.

7– على الرغم من ندرة المعلومات المتاحة حول موقف المسيحين العرب من الثورة العربية الكبرى، يمكن القول بأن المواقف قد تباينت سياسيا واعلاميا، فقد وجد بعض الأفراد الذين انضموا إلى صفوف الثورة وعبروا عن ذلك من خلال المشاركة السياسية والعسكرية في أعمال الثورة والشعر الذي ألقي لتمجيد الثورة. وهناك من اعتمد موقف تحقيق الاستقلال بالإنحياز الكامل نحو الغرب لبناء الدولة الحديثة تحت حماية الغرب.

8 – وجدت هذه الدراسة بعض المسيحيين العرب الذين وجهوا أنظارهم نحو الغرب بهدف تحقيق طموحاتهم في التخلص من الحكم التركي، وخاصة في لبنان حيث كان زعماؤه يسعون لوضعه تحت الحماية الاجنبية أو الوصاية الفرنسية وكانت حجتهم في ذلك أن العرب غير قادرين في هذه الفترة على بناء دولة قادرة على مواكبة الغرب اقتصاديا وعلميا. ومع ذلك لا يمكن تعميم هذا الموقعة لأنه لا يشمل جميع المسيحيين العرب في بلاد الشام .

9- توقفت معظم الدراسات التاريخية الحديثة المتخصصة في تطور فكرة القومية العربية عن الرواد الأوائل من المسلمين عبدالرحمان الكواكبي وساطع الحصري، ولكنها لم تتوقف عند الشخصيات التي ساهمت في تشكيل الفكرة القومية وعملت على تطويرها، على الرغم من الدور الفعال والمؤثر الذي لعبوه في تحريك الفكرة القومية من مجرد تفكير إلى تحقيقها على أرض الواقع وتنظيمها، وعلى الرغم من أهمية المسيحين العرب الرواد الأوائل في مجال اللغة والصحافة والسياسة في بناء الفكرة القومية العربية، إلا أنهم لم يتلقوا الاهتمام الكافي في الدراسات لإبراز الدور الذي لعبوه في تحريك الفكرة القومية العربية

الكلمات المفتاحية: المسيحيون العرب، القومية العربية، بلاد الشام، 1840-1918، المشرق العربي.

Summry

In this study, the role of arab christions in the levant during the period ,(1840-1918) in the shaping arab nationalist thought was discussed. At the beginning, I mentionned the conditions of arab christions under ottoman rule (1516-1916) and during the period of mohammad ali Pasha rule of Egypt and the levant (1831-1841).

when the conditions of Arab christians cenderetent profound transform Hen I touched on to the grouting activity of misionary missions in the levant, which was supported by catholic, orkads, and Protestent messens, and the impact of this actiuty en Arab chestions.

I aslo looked at the manifestitions of the intellectual renaissance among the Arabes during the period of tonited Study and the manifestations of progress, witnessed on the form of associations, journalism, publicatay ect, an addition to the Arab motionalist political ergonizations, where I referral to the most important public and secret associations during the period of study that were foundedor contributed to their founding by Arab christions.

In this study, I also touched on the role of Arab chrastions in the first Arab conference held in Paris in 1913 en terms of preparation.

participation and discussion through the speeches delivered by the Arab white tHe last part was devoted to revealing the role of Arab christions in the Great Arab revolt, where political and made positions veried in expressing their opinion through the majority of them supporting it and participation in its course, expecully which become clear thirough the porm that refect the depth of feeling and Support for this revolution.

Key words: Arab christions- Arab Nationalism - the levant 1840-1918 the Arab levant.

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: الحسيبون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام 1840-1918م

إعداد الطلبة:

1- دحيلي نسرين رقم التسجيل: 191935070376

2- رقم التسجيل:

القسم: **الشعبة:** التخصص:

إشراف: محمد الشريف حسين **الرتبة:** أستاذ التعليم العالي

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2023-2024 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

د: عباس فتحي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

الرقم: /2024

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): دحلي نسرين

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 110010995018530002

الصادرة بتاريخ : 22 - 03 - 2023 عن دائرة : المسيلة

المسجل(ة) بكلية: العلوم الإنسانية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر تحت رقم التسجيل: 191935070376

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج, مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه)

عنوانها: المسيحيون العرب ومكانة القومية العربية في بلاد الشام 1840-1918م

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في:

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.